

تلک الفریسکا

نجوی شعراوی

شعراوي، نجوى.

تلك الفريسة. تأليف/ نجوى شعراوي.

التصنيف : مجموعة قصصية

٢١ سم ، ١٥٢ ص

تدمك : ٢- ٨ - ٨٥٧٠١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

تدقيق لغوي وإخراج فني وتصميم الغلاف

يوريكا لخدمات النشر



01288627690

eureka4publishing@gmail.com

بالتعاون مع

دار المثقفون العرب للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

رقم الإيداع : ٩١٥٩

جميع الحقوق محفوظة و يحظر طبع أو تصوير أو تخزين أى جزء من
الكتاب بأية وسيلة من وسائل تخزين المعلومات إلا بإذن كتابى صريح من
الناشر

إهداء

إلى ملهمتي التي هدتني السبيل ...
التي صارت تردد اكتبي صغيرتي، حتى لو من اليسار إلى اليمين..
إلى المخلصة الصديقة الصدوقة ”باكينام بولند“
إلى ميراثي من تركة علي، والحنين.. أخت بنكهة صديقة..
وصديقتي التي بنكهة القرفة والقرنفل والمستكة والكثير من الحب
والقليل من الحبهان
إلى المختلفة بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ..
فهي بكرة العين والروح والقلب..
شباك الحياة وحديثه، بل وسكنه..
هي مني وإلي..
جيهان على شعراوى

رسائل علي

سلامًا سلامًا عليك وعلى روحك يا حبيبي، حنينًا أم شوقًا لا أعرف،
أم إنها إحدى رسائل رثائي إليك، كنت حكيماً عبقرياً موهوباً، يا رقيق
القلب، كنت تفهم ما في نفسي، ولا تقسو عليّ أبداً مهما كلفك الأمر
من عناء يا صاحب الكبرياء، كنت تحتويني، بل تستوعبني وتستوعب
شطحاتي، وبالأكثر طموحاتي العريضة وأسئلتى التي لا تنضب، فليس
كل ما يقال يقال باللسان.. هذه هي مدرستك، بل إنها أول مهاراتك
أنت!.. كنت ملك لغة العيون يا «علي».. كيف لك أن تفك شفرات
كل من هو أمامك؟.. وكيف كنت تتحمل ثرثرتي إليك؟.. وكيف كنت
تتحمل التصاقي المستمر بك دون حتى أن تنفر؟.. كيف جعلك الحب
غير المشروط؟.. جميلاً كاملاً مكملاً في التعامل مع أبسط الأمور إلى
أصعبها واستيعاب كل من حولك.

كيف كنت لي معطائاً عطوفاً لهذه الدرجة؟.. ماذا كانت يا ترى
حساباتك؟.. وكيف كنت تضحك؟.. حتى وأنت بداخلك عالماً لا يعرف
عنه الكثير!!

كيف كان وقع حكاياتك عليّ يا «علي»؟.. كانت مبهرة للعقل قبل
القلب، يا أجمل من علاء الدين، وبطلاً كما صلاح الدين.. يا من كنت
لى الدنيا والدين.

حتى أفكارك يا «علي» لم تكن أبداً متناثرة ولا مبعثرة، بل كانت مثل السطور.. كانت وما زالت تشعر بك روحى مهما لم يبلغ بي الوصف، أو حتى يسعبنى التعبير.

كيف لى؟ إن أصبحت «أكثر» كالجمال أحاديثك بداخلى وصوتك الذى لا أحتاج أبداً أن أسترجعه إلى الآن.. يسري بداخلى.. وكيف كنت لي الراوي «الخصوصي» الذى أحببته من كل قلبي، بل وتعودت على صوتك وتعلقت به مهما وصفت لك.

صرت أتوارث حركاتك.. وطباعك، بل وإيمائاتك، كيف لى؟.. حين تعلقت بصوتك كنت طفلة لا أعى حتى حكايات «الف ليلة وليلة» و«كليلة ودمنة» التي كنت تسردها عليّ كل ليلة كـ «حدوتة ما قبل النوم المقدسة»، ولكنك كنت أنت وحدك المقدس فيها.

إن عقلى يخرجها وكأنها «شكومية أفكارى» الثمينة.. بل أحياناً أسردها لنفسى آلاف المرات بداعٍ أو بدون داعٍ!.. كنت مختلفاً وصرت مختلفاً وستظل كل الاختلاف.. لما فات.. وللآن.. ولما هو آت..

وبرغم حبك للموسيقى والرسم، لم أرك أبداً تعزف آلة موسيقية، ولكنى كنت أستشعر من مشاهير الفنانين، كموسيقار عظيم، بل وموهوب، ولم أرك أبداً ترسم لوحة، ولكنك صرت لي رساماً خاصاً أو فناناً مشهوراً بفنك وتذوقك، لكن فني لك يا «علي» سيريالى أرسم ما أشاء لك، بداخلي وخارجي يا كل «علبة الوانى».. وألوان طيفى ويا

بديع لوحاتي ويا أنس مكاني.. لتعلم كل العلم يا «علي» أنك أنت السبب الأول والأخير على ما أبدو عليه حتى الآن وما وصلت إليه، بل وستظل مصدر معلوماتي الأول والأخير والعتيق، يا صديق مكتبتني التي لا تفهرس بدونك.

أذكر يا «علي» كم عدد المرات التي نصحتني فيها بأن أقرأ؟.. ولما صرت يافعة أحمل خمس كتب ملأت ضحكتك، ووسعت الغرفة، وطلبت مني أن أضعهم على الأرض وأقف عليهم، بسؤال تلقائي منك إليّ:

- هذه خطوة أو درجة.. أنتطيعين أن تقفي لتبلغي سقف الغرفة مثلاً؟.. فبالقراءة ترتقي العقول صغيرتي.

كان الارتفاع حينها بالكاد نصف متر.. لم أفهم المقصد وانصرفت عن القراءة غضباً، ولم تغضب مني أبداً بل نظرت لي مبتسماً.

صرت لا أعرف النوم يا «علي» إلا على كتاب، صرت أضعهم وأقف عليهم طلباً، بل خجلاً مني أن ألمسك في السماء، ولكن الآن دون جدوى، أتعلم كم لقب أطلقته عليك بداخلي؟.. «صاحب البهجة الحزين» ويا جذور شجرة الياسمين، صديق الهدهد، ويا محاي الطبيعة.. أتعلم كم عدد المرات التي صفقت لك فيها بداخلي يا «علي» ولم أفصح لك عن ذلك.. أتعلم كيف كنت أراك؟.. كنت أستعير عين الحصان «أيي» كي أراك أضعاف حجمك داخلي وما أدراك ما الانبهار يا «علي» لم أعد

أستطعم بعض الطعام بدونك وكأن ذلك ذهب معك.. ولا أعرف لماذا؟..
مازلت أتشمم رائحتك في بعض الأماكن، وبالأخص الزرع وأرى
ملاحك بوضوح، وما زلت أراقب ”الهدهد“ مثلك تمامًا وأتذكر قصصك
عن إخلاصه، بل و أناقته وسط الطيور، وأنه ذُكر في القرآن، بالطبع
فهو يحمل العديد من الأسرار.. كنت صديق الهدهد، تعشقه وتراقبه
بالساعات هو واليمام، حتى أن اليمامة صنعت عشًا في غرفتي، وأنا لم
أزعجها أبدًا كما كنت تفعل مع الطيور كلها، وأتذكر كلمتك الشهيرة
«كلما أهديت الطبيعة أعطتك، وكلما صرت متأملًا صرت أحكم.. أجمع
لنفسك».. أحيانًا كثيرة أرى ملاحك و ابتسامتك ولكني لا أرى دموعك
يا شامخا أبدًا.

«كل شيء خير «علي» .. لكنني لست خير»

ما زلت تستقر بداخلي وفي أوصالي.. أسأل الله عن لقائك ولقائي بك
الأخير..

«علي» إني أتمرد على الأحلام والرؤى أحيانًا لحظات.. وأحيانًا
دقائق!.. «تلاحقني المشاهد، يستهويني التجوال، واقتباس الأنوار، بل
واستراق السمع حتى لو لشوانٍ، بل أحيانًا ومضات ممتزجة برسائل
مكتوبة.. مسموعة وهمسات ممتزجة بأدق التفاصيل.

هل هي الثوابت، أم الروابط.. الشواهد؟ أم هي بالأحرى النعم أم
أنك يا «علي» كل النعم.

«علي» أنا لم أقصد الإطالة أتمنى أن يسعدك الله في برزخك يا
حبيب الروح..
فيا حبيبي كل شئ بقضاء..
ما بأيدينا خلقنا..
ربما تجمعنا أقدارنا بعدما عز اللقاء
ولا تقل شئنا فإن القدر شاء!!!

تلك الفريسكا

«فريسكا» أطلق عليها هذا اللقب أصدقاء والدها الطلاينة، لانطلاقها وعشقها للبحر وللإسكندرية.. هي في أوائل العشرينات، حبوبة، حيوية، ما زالت خجولة، وفي نفس الوقت صاخبة، وعنيدة جدًا. تشتهر «فريسكا» بلون خصلاتها الحمراء، وشعر لا قصير ولا طويل، ونظارة شمس زرقاء تستخدمها لتحميها من أشعة الشمس صيفًا وشتاءً علامة مميزة لها وبها، فلنبدأ وصفها في أشياء أخرى... إن داخلها ملفت لا تعرف لماذا؟ ولكنهم هم حقًا من يقولون عنها ذلك، لكننا نعرف السبب لقد ترك فيها أبوها ما جعلها داخليًا وخارجيًا ملفتة.. مزيجًا من الثقافة وألوان الفنون، بل وألوان الحياة.. ميراثًا لا بأس به من كل ذلك، وحرزنا دفينًا على فراقه...

تعمل «فريسكا» في توكيل رياضي، صاحبه بطل رياضي للعالم «سابقًا» في كرة تنس الطاولة، بجانب منزلها لكي تنسى حزنها، على والدها الذي تعرف وكل من حولها يعرف أنه لن يعوضه شيء.. أبدًا، ولكن صاحب العمل جار لوالدها، ومن الممكن أن يكون هذا هو السبب الرئيسي لموافقتها بالعمل لديه، وهو ثققتها بصاحب أبيها.

هو شخص خجول ليس اجتماعيًا بالمرّة، عكسها تمامًا، ولكن عدد السنين التي عاشها جازًا وصديقًا لوالدها كفيلة بأن يعرض عليها العمل

كمسئولة عن العلاقات عامة والتعاقد الخارجى لهذا التوكيل، واحتياجه كصاحب عمل ذو طبيعة خاصة لشخصية أمينة، رياضية، محل ثقة ماهرة، ولا تنسَ مظهرها اللطيف للتعامل بأرقى نوادي الإسكندرية، وأمور التوريدات، وإدارة البطولات الرياضية، وهكذا.. ولكنها تسأل نفسها كل يوم يا ترى ما السبب الذى يجعل هذا «العربجي» يعمل فى هذا المكان الراقى؟.. وما سبب موافقة صاحب العمل على العمل مع هذا «النادر».. إن «نادر» عربيد لأقصى الحدود ومظهره لا يخفي ذلك على الإطلاق، بل كلامه، وجمله، ومحاولاته المستمرة فى انتقاء كلامه التي تبوء بالفشل.. أما مظهره العام لا يحاول جاهداً لا من قريب ولا بعيد إخفاء ذلك، بل يفتخر دائماً بذلك.. هو يعمل فى كل شئ.. حتى تجارة المخدرات البسيطة المقتنة، ووصلات الدش، وفرش فى شوارع المنطقة متجدد ومتعدد.. أما علاقاته النسائية المتعددة بالرغم من أنه متزوج ولديه ولد!! كادت أن تكون عرضاً مستمراً وفيلماً كوميدياً بالنسبة لـ «فريسكا»، أما التوكيل الرياضى يعتبر بالنسبة له بمثابة مؤسسة حكومية لأن حلم «النادر» بوجهة نظرها، أنه لم يكن يحلم بالطبع أن يعمل مع بطل الإسكندرية، بل بطل الجمهورية، بل بطل العالم الأسبق فى تنس الطاولة وعضو راقٍ فى رئاسة مجلس إدارة نادٍ راقٍ بالإسكندرية، أما عن كابتن «حسن»، بعد فترة من اعتزاله للرياضة اختاروه ليكون عضواً فى الإتحاد الدولى لتنس الطاولة، تزوج

من روسية وأنجب منها ولدًا في ألمانيا ثم رجع إلى القاهرة، وعاش بها سنتين واستوطن بعد ذلك في مسقط رأسه، ثم تزوج من مصرية بطة جمهورية أيضًا معتزلة وأنجب منها ولدين يشبهونها ولا يتحدثون كثيرًا إلا بأعينهم وليس لديهم كاريزما على الإطلاق.

كان أبي يقول لى إن ما جمع «حسن وشريفة» هي الرياضة أولًا ثم الحب ثانيًا.. أما «شريفة» فاعتزلت لسبب آخر غير وقوعها في حب كابتن «حسن»، وهو إنجابه ولدًا أسماه «إسلام» من زوجته الروسية، وهما يقطنان في نفس العمارة التي بها محل التوكيلات الرياضية كما الأجانب.. أما «إسلام» فتراه يقول لمدام «شريفة» ماما - وهي تعرف أنها ليست والدته - ماعلينا فهذا ليس موضوعنا.. حكمة الله.. لربما لم يرَ الروسية من الأساس ليقول لها ماما أو حتى «إسباسيبا».

ولا تستطيع «فريسكا» أن تنس «سحر» على الإطلاق، هذه الفتاة الأربعينية التي لم يسبق لها الزواج، ولم يسبق لها حتى الحب، وحيدة، وحزينة دائمًا، ترى «فريسكا» وتسأل عن عمرها هي بداخلها؟.. وما فاتها كله؟.. وعلى مستوى الجمال وإطلالة مختلفة وكاريزما، ولكن تكرر «سحر» لـ «فريسكا» هذه الجملة «أنا لا أعرف على الإطلاق سببًا لحبك ولكني أحبك».

لم تصدق هي يومًا هذا الكلام بداخلها وكانت تكتفى بهز رأسها عند سماع هذه الجمل من المجاملة أو الإطراء وتعرف أنها مجاملة

لا أكثر ولكن هل من الممكن أن يكون ورائها غيره، أو حتى عمائل بنات؟؟

ذات الخصلات الحمراء تبدأ يومها بهمل و استنكار ولا تعرف السبب ولا تعرف حتى لماذا؟، أما «شريف منصور» الصامت لوقت معين، وحين بدأ الكلام قد ملأ الكون بالمعاني الحقيقية الواضحة و الغير واضحة التى أطلقت عليه «فريسكا» الصامت الغامض بسبب عمله الحساس، هذا الممشوق صاحب النظرة المختلفة الذى عرفت بعد ذلك أنه يحب الطعام.. أقصد يحب الله.. أقصد يحب الوطن.

في ليلة شتوية من ليالي الإسكندرية، لم تبدأ النوة بعد لكنها على وشك، يأتي من بعيد «شريف منصور» بسرعته، بينما تتحدث «فريسكا» في هاتفها خارج التوكيل الرياضي لحظة وصول الباشا.. نعم هو باشا أو تحسب أنه أسد في عرين يستيقظ منه بنشاط.. لحظة وصوله تنهي هى المكاملة، ينظر إليها بعتاب! كيف لا تكونين هنا لحظة وصول النجوم؟، وتدخل لتدير ما تبقي من يومها بالعمل، مع نادر وسحر، هو الآخر تأتي إليه مكاملة تليفونية وحين خروجه يرمقها بنظرة ويطلق فيها ويترك هاتفه يرن أكثر من ثلاث رنات ليتأملها قبل أن يستقبل المكاملة بالخارج. يخرج هو في نفس الساحة ليتحدث وتبدو عليه ملامح الجدية، بل يبدو عليه القلق ويبدو أنه قائده أو قائد لشئ ثم يقول في لهجة شديدة حين انتهى للتو من هذه المكاملة التي تبدو مريبة..

- ها خلصتوا وحضرتوا المقاسات خلصوني؟

لترد سحر قائلة:

- فاضل الكوتش النايك.

- إيه دا؟.. أنت متخيلة إني ممكن أقيس؟.. لالا.. أنا مش بتاع الكلام ده أصلاً.

لا يرد نادر على هذا -أقصد «شريف»- في العموم لأنه يشعر من داخله أنه ظابط ويتخيل لبرهة من الوقت القسم والمخبرين والسوجارة معلقة بالودان في مشهد غير مرغوب فيه ولا محبب "لنادر" على الإطلاق، بل قرر نادر أن يتنحى عن اللهجة التي يتحدث بها «شريف» في حين ترد «سحر»:

- طيب حضرتك أوامر طلباتك إيه؟

- قولت يلا خلصوني أنا مستعجل.

ثم ينظر خلسة «فريسكا» في إطالة نظرة أخرى لها.. ما هذا المتعجرف؟ ولماذا يتحدث بهذه اللهجة ألا يكفينا الملل!!... ألا يشعر بالبرودة؟ ولا حتى النوة التي لم تبدأ بعد، ثم تنظر له هي في ترقب ماذا لديك؟.. ولماذا هذه العنجهية الكاذبة؟ إما أن هذا الشاب الممشوق الوسيم ضابطاً فعلاً، ولكنه ذو رتبة كبيرة لأنه يحمل كوبوناً بمبلغ كبير، بل يبدو مبالغ فيه ومن خلال هذه الثقة التي يتحدث بها ومن خلالها هو لا يعير اهتماماً لمن حوله، ولا حتى لمظهره المتأنق، أما هي فلا تبالي

حتى برائحة عطره التي استحوذت على نفورها ولا تعرف حتى لماذا..
ولا تبالي بالتساؤلات داخلها.. ثم ينظر لها آخر نظرة ويتحدث بكلمتين:
- هو أنتِ رأيك إيه؟ ولا بتفضلي إنك تتفرجي وبس!!!
لتنطق «فريسكا» قائلة:

- عاوز إيه بقى؟

قالتها وكأنها طليقة «فشك» تطلقها «فريسكا» من مسدسها الذي
يشعر بالملل، بل وبالرتابة، إن مسدسها خاوٍ ملول مثلما تشعر، بل
تطلقه هي في سخافة موجهاً لوجه شريف.
- حضرتك بتردي عليا أنا؟

- الحقيقة آه وما أردش عليك ليه؟ أنت موجهلي كلام!!!.. أولًا صوتك
عالي من ساعة ما دخلت، ومتوتر ووترتنا معاك ومش عارفين نشوف
طلبات حضرتك، بالظبط من ساعة ما استقبلت المكاملة ومن ساعة ما
دخلت التوكيل.

لم تقل ذلك في هدوء هي الأخرى.. ثم أردفت قائلة:

- دا غير إنه مش مكتوب في الكوبون «من فضلك استحمل الشخص دة
قدر المستطاع».

صمت الجميع.. ما هذا؟ لماذا قالت هذا؟ ولماذا قالته بهذه اللهجة؟
من هذا الشخص؟ وحقًا لماذا يطالب بأشياء بهذه الطريقة؟ ولماذا
يستخدم هذه اللهجة؟.. ولكن يبدو عليه أنها بالفعل أخرجته..

- ده الكارت بتاعي.. أنا قلت طلباتي وهاجي بكرة أستلم الحاجة كلها على بعضها.

- آااه من فضلك هتيجي وتقيس الكوتش النايك عشان نبقي سلمنا صح.

- هبقى أشوف الموضوع دة.

لم تبالِ «فريسكا» علي الإطلاق بالرد..

- إتفضلي دة الكارت بتاعي، أنا قلت الي عندي.

- وأنا مبشيلش كروت شخصية.. اتفضل حضرتك إديه لأستاذ «نادر» وهيبقي يكلمك بكره.. في حالة إن ملقناش المقاس هنبقي برضه نبلغك إننا رَحَلْنَا المعاد.

- لا الكارت دا عشانك أنتِ.

- وأنا سبق قولتك مبشيلش كروت شخصية!

فماذا فعل شريف؟.. أزاح بعصبية الزجاج الخاص بالمكتب ووضع الكارت تحته ثم قال بلهجة أكثر حدة:

- أنتِ اسمك إيه؟

ردت سحر بسرعة عنها:

- اسمي سحر.

- هنتظر تليفونك بكرة يا «سحر» أو الصبح، أنا فاضي بعد واحدة الظهر ماتنسش يا «سحر» واحدة الظهر.

ثم في عجالة من أمره..

- مع السلامة يا عايقة.

كان يتحدث لـ «فريسكا» ويتوعد «نادر» وينظر لـ «سحر» في نفس الوقت.. يبدو أنه حقًا ذو مواصفات خاصة..!!!

قال «نادر» فور انصرافه:

- معووج أوي يابنات، وشكله حكومة.

ترد سحر:

- ومايتعوجش ليه حقه بصراحة شاب صغير وسيم وجميل كمان.
«فريسكا»:

- وسيم وجميل في نفس ذات الوقت؟

لتكمل سحر:

- ااااا ورشيق وابن ناس كمان مركز والله غير شقاوته ولا إيه؟
تسأل سحر «فريسكا»:

- ولا إية رأيك؟

لترد «فريسكا»:

- والله بلاوي و بتتحدف علينا.

«نادر»:

- أنا هخرج أشرب سجارة برا عاوزين حاجة يا بنات؟

- لا هتطول يا نادر.

- اااااه هطول.

- هههه...أحسن.

سحر:

- في إيه بس مالك؟ قوليلي ما الراجل مغرم صباة أهوه، وكلام وقفش
وراشق عينه فيك شكله عينه منك، والشاب ده يا برج العقرب يا برج
الأسد وأقطع دراعي.
- لا اقطعيه.

يزداد الملل بداخل «فريسكا» أكثر ثم تقول:

- أنا مبجش الدخلة دي بقي خالص ومش سكتي كمان ومش بيجذبني
الأسلوب دو ولا العجرفة على فكرة.
- أنتِ شايقة كده؟
- آااااه جدًا.

- يعني أنتِ مش هتكلميه يا «فريسكا»؟

- وأكلمه ليه؟.. كنت خدت منه الكارت يا سابقة عصرك وأوانك.
- كلميه أنتِ أو إديه ل«نادر» يتكلم معاه بس خدي بالك بقي قلبي
بيقولي!!!

- ها قولي....!!

- طب بوصلينا على الكارت كده نشوف اسمه ولا هناديه «بندق» مثلاً؟
- خفة.

- لا ظرف.
- ماشي.. بقولك إيه أدي اسمه طلح شيك «شريف منصور».
- متأكدة يا ”سحر“ إن دة اسمه الحقيقي؟
- و أنا إيش عرفني أنا بقي؟!
- ما هي ناس غريبة!.. بقولك إيه يا ”سحر“ أنا ماشية عاوزين مني حاجة؟
- لسة نص ساعة علي فكرة!
- أنا بردانة والدنيا برد وامشي أنتِ كمان يا سحر علشان طريقك لسه طويل.
- يعني خلاص آخر كلام؟.. أكلمه أنا أنسق معاه الشغل.
- بالهنا والشفاف يا ستي.. سلام.
- تخفي «فريسكا» بداخلها سؤال ما الذي أتني بهذا؟ وما هذه التصرفات وما الداعي للعجرفة؟ إننا حقًا لسنا محلًا للأدوات الرياضية أو حتى مجرد باعة، وإن كان يأتي من مؤسسة حكومية كبيرة أو ذو منصب فهو يخفي هويته الحقيقية بالطبع لأنها اختلست نظرة إلى الكارت الذي قدمه لها لا يحمل أي لوجو أو شعار ولا يشير إلى مؤسسة بعينها بل إنها تذكرت عبارة الأفلام البوليسية ”سري وخاص“.
- هو ينظر بحدة ووسط كل هذا يحملق فيها وهي لا تستطيع قبول هذا ولا إخفاء الفضول عن نفسها من هو يا تري؟ هو أعجبها! لكنها

ترفض أسلوبه!.. هي تشممت عطره، غالبًا تركه بالمكان ولكنها نفرت من الرائحة، إن عطره صاحب مثله ولا تعرف سبب هذا كله، وتوافق رأي «سحر» هو على الأغلب برج الأسد أو العقرب، وما أدراك برجال برج الاسد، ونفس العجرفة موجودة ببرج العقرب.. يتصورون أنهم أتوا من بعيد بعد آدم مباشرة، ليكملوا المسيرة وحدهم بالأرض نعم وحدهم.

لا تعيري الأمر اهتمامًا أيتها «الفريسكاوية» بل ابحثي عن «ماج» شيكولاتة ساخنة جدًا يدفئ أطرافك لينهي يومك الممل، الصاحب، المرهق، وسخافة «شريف»، بل استقبلي يومًا جديدًا، هادئًا، أقل بردًا تكونين فيه أقل مللًا من اليوم.

«صوت الشتاء أخيرًا»

قالتها «فريسكا».. النوة بدأت هي تحب جدًا أن تنام على صوت الشتاء وتدعو الله وتسبحه في صمت منذ نعومة أظفارها.. تضع أمامها «الماج»، ليُخرج لها عقلها صورة لهذا «الشريف» المتعجرف خلسة، لتحمل علامة استفهام منها لدقائق، ثم تضع «الماج» لا تدري أين، وتستسلم للنوم.

صباح يوم شتوى جديد خالٍ من الشمس.. طبعًا إن «المارية» تعزف طوال الليل صولوهات المطر وهي دعت وسبحت وسافرت لبعيد أيضًا بأحلامها.

الكل هنا يبحث عن قهوة صباحًا، الكل صامت، الكل يشعر بالبرودة
إذن يسعد صباح العمل والأمل، يسعده بالأمطار والسحب على النغم...
«سحر» تكسر الصمت:

- أنا قررت ويا ريت تكوني مبسوبة بقراري إني مكلمش «شريف
منصور» دا.

- لا يا شيخة.. دا شغل يا بنتى!

تتعجب «فريسكا» من قول «سحر».. يرد «نادر»

- أنتِ الكسبانة بس بقولكوا إيه أنا هاجي على نفسي أهو وأكلمه راجل
لراجل بس مش عاوز رغي وهري ساعة صبحية.

- خد التليفون يا «نادر» وخلصنا إنتوا هتتعاظموا.

يتصل فعلا «نادر» ليجد الهاتف مغلقًا!.. تندهش سحر، تبسم
«فريسكا» وهي ترتشف قهوتها الصباحية، وقلبها دليلها بل يحدثها
لتقل ما بداخلها..

- الراجل دا وراه حاجة! و ما اسمهوش «شريف منصور» هاتلنا الجرايد
يا «نادورا»..

هكذا أنهت «فريسكا» كلامها..

- أهو دا اللي إنتوا فالحين فيه هات يا نادر ودى يا نادر.

- يا بني هبص على مناقصة الجيش.. تحديدًا معادها النهاردة.

- أنت شكلك نسيت.

- آاه تعبان والله، بس شاطرة كنت هنسى يا أروبة يا ساكتة أنتِ.
- هو أنتِ أصلاً بتفتكر الشغل؟ طب بلاش بتفكر في الشغل من أساسه؟
- أنتِ على طول كسفاني كدا يا «فريسكا».
- يا عم هو أنتِ فالح أصلاً؟
- بوصي أهم حاجة البرادس.
- إيه البرادس دي؟
- يعنى الفلوس يا «فريسكا».. في برادس تلاقيني راشق على طول هنا بقي هناك وهناك يقولولي هنا.
- هههههههههه.
- لا تستطيع «فريسكا» إنكار أن «نادر» «دمه خفيف» كما شعره وتسريحته الغريبة العجيبة أيضاً.
- أنتِ رايح يا «نادر» في أي حاجة صح؟
- أومال إيه.. لا دانا أعجبكوا أوى وخاربها برا.
- لا لا إرجع والنبي مش ناقصين إحنا ياعم.
- استنوا يا بنات التليفون بيرن أهو. ألو ألو؟! لا والله النمرة غلط والله النمرة غلط.
- ارتفع صوت الضحك من الكل...
- أومال أنتِ كنتِ فاكرة مين؟ يا «سحر»؟! «شريف» إياك.
- لا يا خفيف كنتِ فاكرة مامتك.

- بس يا "سحر" هزعلك.
- تبسم «فريسكا» لأطفالها الكبار..
- مافيش فايذة.. والله ما يحلى الشغل إلا لما يتناقروا مع بعض.
- هي تتأمل... آخر رشفة من فنجانها الثاني، وتأملت الجرائد.. أحداث
عنف في لبنان، مناقصات، أبراج، أخبار هامشية...
- «نادر» مناقصة الجيش أعلنوا عنها أهوه.
- محتاجين كراسة شروط..
- واضح إن نادر ستأتي له مهمة عاجلة تذكره بها «فريسكا»..
- «نادر» كلم من فضلك الكابتن، وخليه يحولنا فلوس على الفيزا.. هتروح
تشتري كراسة الشروط واحتمال يكون فيه تأمين بس هيتدفع بكرة.
- يهر اليوم بمنتهي السلاسة لا هو تقليدي ولا هو ممل مثل الأمس،
هو فقط مناقصة والكابتن وكراسة شروط وفناجين قهوة وبعض المجات
المتناثرة لآثار شاي يحتسيه بكثرة نادر وسحر وبعض المعاملات البسيطة
وتليفون خطأ وبرد وتمتلئ الشوارع بالمياه..

«محلاكي يا إسكندرية في كل وقت وساعة وحتى العصرية بشمس
بلا شمس شتا وروايح شجر طالع منة ريحتك، وشوارعك المغسولة
عشق علي عشق وحرية»

تأتي ساعة البريك من الثالثة إلى الرابعة والنصف أو الخامسة والكل يأتي في الخامسة والنصف، وهي وقت القيلولة والغداء.. ما أحلى هذا الوقت مع وجبة ساخنة في الشتاء و«تغفيلة» لفريسكا.. الساعة الخامسة والنصف....»

يأتي «نادر» والنوم في عينيه و«سحر» تراها تهول للوصول لأنها تقطن بعيداً عن التوكيل الرياضي وتقضي الوقت تقريباً بالمواصلات ممسكة بسندويتش لاختصار الوقت والراحة في نصف ساعة قبل العودة للعمل مرة أخرى..
سكوون...

- إيه مافيش شاي؟

هكذا تعالى صوت نادر المتحشرج..

- أنت مبتشبعش شاي يا أخى؟

- الدنيا ساقعة وبعدين دا مزاجى مع السوجارة.

- إيه دا؟ - ترد «فريسكا» - هى السجارة بقت بالواو؟

- آه أنا بكتبها كدا والواد «فارس» طالعلي.

كان نادر يتحدث عن ابنه.. لتحبطه فريسكا قائلة:

- فارس و بنى خيبان.. طب الحمد لله عقبال ما تنطقها من غير واو

لأنها لا بتتنطق بواو ولا بتتكتب بواو.

- بجد؟

يدخل رجل خمسيني ومعه أولاده يفك الاشتباك الذي كان من المحتمل أن يحدث.. ولد وبنت ممشوقة القوام يبدو أنها تلعب لعبة رياضية بالتأكيد..

- من فضلك يا أستاذ ألاقي كور طائرة ماركة «ميكاسا»؟
- آه فيه.

- من فضلك سعرها كام؟
- 100 جنيه.

- طيب عاوز واحدة.
- من عنيا.

- إتفضل.
- متشكر أوي.

الساعة تقترب من الساعة.. سحر تتحدث بتليفونها الخاص وتتأخر. «الخميس».. اليوم الأجمل على الإطلاق في أي عمل أو الأشغال في العموم.. ساعات نوم زيادة.. فيلم السهرة أو رواية جديدة أو حتى فيلم فيديو «لبراد بيت».. اندهشت «فريسكا» لإعلان الفيلم الجديد..
«Meet Joe black».

كل مثل هذه الأشياء بالنسبة لها تبدو لطيفة، ومسلية ومنتهى الراحة بعد يوم عمل مقسم إلى ورديتين يكادان أن يكونا روتينيتين، حتى تغيير المنطقة هنا مستحيل، فعملها بجانب بيتها، ولكنها تشعر

أيضا بالملل.. ولا جديد.. برد.. تليفون لا يرن، ولم تستقبل اليوم مكالمات من أصحابها لتنسيق «خروجة الخميس»!! المعتادة.. لابد أنه الطقس، الكل يبحث عن الهدوء عند البيت.. جائز الساعة التاسعة، باقي ساعة.. يرن التليفون الأرضي.. إنه الكابتن:

- ألو... إيه أخباركوا؟

- كلوا تمام.

- الجو وحش أوي النهاردة.

- دي حقيقة.

- طب من فضلك إديني نادر.... نادر قفل وروح البنات.. الجو وحش.

- حاضر يا كابتن.

- وأنت هتروح ولا هتقضيها كالعادة؟

- لا يا باشا مافيش راجل ابن راجل يروح تسعة ولا عشرة ولا إتناشر حتى.

- ماتنساش بس إنك بتشتغل هنا.

- وماله يا كابتن؟.. مابنساش.

- طيب قفل وماتنساش تطلعلى المفتاح مع البواب.

- حاضر يا كابتن لي تشوفه.. سلام.

ياااه اختزل ساعة من الوقت و هذه الساعة تكفى الفيلم الجديد لبراد بيت.. طقس سئ للغاية.. شتاء، هواء، برد، كل هذا يعني البيت

- ثم البيت.
- سلام.
- قالتها «فريسكا»..
- رايحة فين؟
- هروح يا عم.
- دة أنتِ أكثر واحدة ساكنة قريب.
- مش الكابتن قالك رَوَّح البنات؟
- آاه بس أنا حقودي لا لا... أئمنالك خراب رائع هههه.
- بالله عليك يا نادر أنا ما ناقصة حققد ولا أرف كفاية الملل للي بقالي فترة حساه دا.. والنبي يا نادر ما تعملنا مصيبة علشان هتمشي بدرى.
- هحاول.
- سلام يا «سحر».
- بقولك..؟
- ها..
- فيه حاجة عاوزة أحكيلك عليها.
- خير يا ترى...!!!
- ولا أقولك خيلنا بكرة.
- أنا كمان ماليش مزاج أسمع حاجة.. يالا أجازة سعيدة فى ساعة.
- يالا أجازة سعيدة لساعة.

- أهو أنتِ.

ما الذى تريد أن تحدثها فيه «سحر»؟!.. على العموم «فريسكا» ليست فضولية بدرجة «سحر» على الإطلاق، أما «سحر» فبداخل تفاصيلها تفاصيل تقطن في منطقة شعبية، أما وجهها يحمل بعض التجاعيد، تشير بها إلى الزمن ومتوسطة الجمال.. ممتلئة الجسم بجانب أنه ليس متناسقاً إلى حد ما، تفوقها جمالاً «الفريسكاوية» على تجاعيدها...

فيلم «براد بيت» الجديد يشغلها، الحمد لله أنها لحقت بمحل شرائط الفيديو قبل أن يغلق، هي لها باع طويل في هذا المحل، إنه بجانب عملها لأنه مشروع يخص جارها أيضاً، وما أجمل وجبة ساخنة، وجبة العشاء هي الوجبة الأساسية عندها، هي تحب الليل.. تفضله.. ترتاح له.. كان والدها يقول لها دوماً.. «حتى وجهك صغيرتي مستدير كما القمر».. هي تعشق القمر بكل تفاصيل ليله وتسأل بداخلها هل تستولي على بطانية أخرى لكي تدفن قدميها، أصبحت لا تعترف ببطانية واحدة بعد والدها بعدما كان هو يقوم بتدفئتها، هي لا تريد لمس رجلها اليمنى باليسرى حتى لا ترتاب.. ولا يعيد لذاكرتها مشهد تدفئة أرجلها من أبيها الحبيب...

ما الذى جعل المدعو (شريف منصور) الذى كان منذ يومين فقط «الشريف المتعجرف» يخطر ببالها، ألهذا الحد تهرب؟ لماذا أغلق هاتفه

يا ترى؟ ولماذا يخطر ببالها الآن؟ أهى تتسائل أم تريده أن يخطر ببالها..
هي متأكدة وواثقة أن المرة التالية لن يأتي متعجرفاً، وهي لن تكون
ملولة... وما خفى كان أعظم!!!

صوت المطر يداعب أذنيها، والفيلم في منتصف أحداثه، هي
تستسلم للدفع.. هي تستسلم للنوم لحضور الجمعة المباركة... تفتح
عينها لتجد نفسها بالبيت وحدها.. ما هذا أين ذهب الجميع؟
كم الساعة الآن؟!.. ترى في الموبايل الأخضر الالكاتيل.. هي تفضّل
أيضاً الأشياء الصغيرة وتميل كل الميل للبساطة... فكل ما هو صغير جميل
بل أجمل بكثير من التفاصيل.

تصل إلى العمل.. وهي لا تفضّل أجازة السبت والأحد فهذا نظام
غريب عليها وعلى كل من يعمل مع الكابتن..

- «سحر» أنتِ هنا؟

- آه من بدري.

- طب «نادر» هنا؟

- لا.. مش هتصدقني.

- خير.. استر يا رب.

- «نادر» بيصلى.

- لا؟!!

- آه والله.

- من إمتى؟!
- يا ستي إحنا مالنا يا ستي أنا...
- بس يالا الحمدلله على البركة.
- بصي بقى يا «فريسكا».
- ها.
- من الآخر كدا من الآخر.
- هاه.
- أنا بقالي يومين كدا بكلم «شريف منصور» في التليفون!!!
- يا شيخة وبعدين؟!.. مش أنا قولتلك إمبراح عاوزاك في موضوع وأنتِ قولتلى خيلنا بكرة؟.. طيب بوصى يا ستي بقى الى حصل بالظبط أنا لما كلمته أخذت طبعًا تليفونه من الكارت و كتبته عندي حلو؟
- حلو وبعدين؟
- تفتكري إيه الى حصل؟
- لأ «عروستي».. انجزي عاوزة قهوة أنا.
- افتكري أنتِ على فكرة!!
- إيه دا؟.. طموح أوى دا الجدع.
- مش قولتلك عينه منك!
- أها وبعدين؟
- المهم قعدنا نتكلم شوية كدا وبعدها سألني بقولك إيه معلش عندي

سؤال بعد إذنك؟.. مش أنتِ لي كُنْتِ بتتكلمي في التلفون الأخضر الصغير ساعة ما كنت داخل التوكيل صح؟ برا وكلمتيني وحش.. قتلته موبايل أخضر! تقصد زميلتي بقى قالي أيوا بالظبط زميلتك العايقة دى!!!

- ده مركز بقا على الآخر معايا!
- طيب والمطلوب منى؟
- ولا أي حاجة.
- بصي يا سحر.. أنا مباحش نوع...
- قاطعتها «سحر»:
- إحنا اتفقنا مع بعض أصلاً خلاص.. وهو هيتصل دلوقتي وفرصة.. إن سي زفت برا.
- كانت "سحر" تقصد «نادر».
- لا لا عيشي حياتك معاه.. أنا برا حساباتكوا.. فككوا مني على رأى نادر!
- ماشى أفكك مني موافقة.. بس هو مش هيفكه منك.
- كلمة هيفكه دى إحنا أخذناها من نادر صح يا "سحر"؟
- ماتغيريش الموضوع.
- ليه بقى؟
- علشان معجب يا ستي وفي رأيي أنا كسحر ولهان كمان.. مش يمكن يطلع شخص كويس؟

صمت تام انتاب «فريسكا»

رن تليفون «سحر».. كان «شريف».. خرجت من التوكيل إلى
الساحة، ولم تبال «فريسكا» و بعد عشر دقائق أتت لها وقالت:

- عيب بقى الراجل على التليفون.. يلا بقى أنتِ كدا هتكسفيني أنا
كمان وتصغرينى.

ترددت «فريسكا».. ثم قالت:

- ألو.

- ألو.

- ينفع كدا؟!!

- للي هو إيه؟!!

- تصغريني قدام الموظفين.

- مين معايا؟.. قالتها «فريسكا»

- أنا يا بنتي «شريف منصور» (سابقًا)

- ههههههه سابقًا؟.. جديدة دى، مين بقى كاسم؟

- علطول كدا؟.. محمد اسمي محمد.. واسمحيلى دلوقتى مش هقدر

أقول محمد إيه.. لكن حقيقي اسمي «محمد»...

- طب وبالنسبة للكارت؟

- بصي تقدرى تقولي فرد من رئاسة الجمهورية.. أنا بشتغل ضابط

حراسات خاصة في مؤسسة رئاسة الجمهورية.

قبل أن تنطق «فريسكا»..

- أنت لطيفة حقيقي جدًا.. أنت وفونك الصغير الأخضر.. ولفتي نظري جدًا من أول نظرة.

- ميرسى لذوقك مش هقدر أنكر خالص إن دمك خفيف وجريء.

- ممكن رقم تليفونك؟

- مممم أفكر.

- لا مافيش وقت لكدة خالص.. هنزل القاهرة بكرة استدعا أما النهاردة هنتقابل كمان.

- أنت جريء صح؟

- آه جدًا أنا جريء جدًا فعلاً.

- طب خد الرقم من سحر.

ولا تعرف لماذا قالت «فريسكا» لشريف.. عاوز حاجة؟ هو سؤال «لازمة» في فهمها أو قالت العبارة يجوز من رتباكها...

- عاوز حاجة؟

- عاوز طبعاً.

- خير يا رب.

- عاوز أكل رز بالشعرية وبسلة بالجزر.

ضحكت «فريسكا»:

- أها «طومحات مامي» دي يعنى.. طب و بالنسبة للحلو؟

- الحلو بيكون «فريسة» مثلاً.. إسكندرية بقى
قالها صدفة!!! ولكنه كان يصفها هي، هي فقط «تلك فريسة».

حب الوصال

كم كانت «دينا» مجهدة، إثر يوم عمل طويل، وأحداث عديدة لا تسر مرّت بها البلاد قضت فيها فترة طويلة في «حظر التجول» كان بالنسبة لها ما هو إلا كبت للحرية وقمع للسفر، فهي تعشق السفر محبة للمغامرة، هي «المتمردة التي تحب الحياة».. انتهزت الفرصة لقراءة العديد والعديد من الكتب، هذه الفتاة لا تُغلب أبدًا، ستظل «تعاقر» وتقاوم إلى مماتها.

اتخذت قرارها بالفعل بحثًا عن الدفء والطمأنينة حتى تنعم بالوصال.. أن تبیت عند جدتها تلك «النوارة» صاحبة الأصول المغربية العتيقة.

إن «نوارة» بالفعل طاقة حب وحنان وطمأنينة، كما أنها طاقة خبز أيضًا.. أحيانًا تشعر «دينا» أن هذه النوارة بمثابة «حائط المبكى» وأحيانًا تشعر أنها ملكة، بل وسيدة مواقف وقرار.. صحيح هي الآن عجوز ولكنها تبدو كشخصية تخرج لنا من الروايات الكلاسيكية تتعرف على المعاصرة من خلال «المتمردة»..

«دينا» تحبها جدًا وتعشق تفاصيلها، وطريقة حياتها أما عن الاستقبال فملئ بالحفاوة والدفء ورائحة الطعام الشهية وكأن «نوارة» دائمًا على موعد..

- مش قادرة أكمل طبقي حقيقي، «نوارتي» مش هتبطلي تتفرجي عليا وأنا باكل؟
- لا طبعًا علشان أشبع يا حبيبتي.
- تتوقف «دينا» عن الطعام وتنظر في وجه «نواره» الوردى، وتطيل النظر بمنتهى الحنان والدفع، وقبل أن تنطق تسبقها «نواره» بقول:
- الحمد لله.
- تسلم إيدك يا «نوارتي».. القهوة عليا أنا اللي هعملها.
- هتكسريلى فنجال يا «دينا»؟
- «الذل الأبدي».. يا «نوارتي» دا كان من حوالى سنة.
- ولووو.. فنجالى جزء من حياى.
- دا أنا حبيبتك.
- ولووو.
- هذا الركن بيت «نواره» لا تكفيه حقًا الساعات، ستارة كلاسيكية رائعة الجمال.. «شباك» طويل يفصل بين البلكون وداخل البيت.. أما الشباك فمغلق بالشتاء لتنعم بالداخل بالدفع، ومفتوح فى الصيف «كشباك الحياة».. «فوتيه» مفروش بالقטיפه، بجانبه صينية فضية كبيرة بها سبرتاية تلمع من نضافتها باستمرار، بجوارها مزهرية ورد صغيرة وطبقين لا ينضب.. الأول به تمر فاخر مع القراصيا والمشمشية يليه الثانى المليء بعيدان قرفة خام وشوكولا على شكل قلب أحمر ومن

طقوس «النوارة» المقدسة أنها تضع عود قرفة خشبي فوق فنجالها
تستقبل دخان الفجال بهوادة ليمتزجا.

جلست «نوارة» على «الفوتيه» لتقول لدينا وتأتي بها من بعيد:

- قوليلي يا حبيبتى....

تقاطعها «دينا»:

- الشغل؟

- مش هسأل عن الشغل.. أخبار «أحلامك» إية؟

- لا متقلقيش يا حبيبتى اليومين دول بخرف.

- احكيلى يا «نوارة» عن «محمود».

- ما بتزهقيش من حكايات جدك صح؟

- بحبه يا «نوارتى» وما تنسيش إني ما شوفتوش غير في الصور مش عاوزه

أقطع «حبل الوصال» مش دا كلامك.. ولا إية؟

بعدها أفرغا قهوتيهما سوياً، رأت «نوارة» النوم يداعب جفون

«دينا»، فخفضت إذاعة الراديو و طلبت منها أن تدخل غرفتها لاستكمال

حكايات جدها، لقد زرعت «نوارة» في «دينا» من صغرها كل ما هو

جميل كما زرعت بداخلها معاني «حبل الوصال».

برغم تمردھا إلا أنها تخضع كلياً لـ «نوارة» إن نوارة بالنسبة لـ «دينا»

هي حبل آمن، رادع، لا يضيق عليها أبداً ولا يمس حريتها، ولكنه يضيق

خناق تمردھا.

راحت دينا بالنوم في طيات حجر «النوارة» ويديها الدافئتين على جبينها، كانت تقرأ لها القرآن خشية عليها، تفهمًا لخواطرها ورؤياها، التي بالفعل ترثها عن «نوارة».

قبيل الفجر بخمسة عشر دقائق استيقظت «نوارة» لتصلي الفجر، شعرت بدينا وكأنها ثققل كلمة.. كذبت مسامعها في البداية، لكن قلبها الشفاف أخذها للغرفة.. تضع يدها على جبينها بمنتهى الرفق..

- ما هذا التعرق؟ وما هذه الابتسامة التي ترتسم على وجه «دينا» وهي نائمة؟

إن الابتسامة تريح «نوارة» وتطمئننها لتفتح عينيها «دينا» بسلام وتستقبل وجه «نوارة» الوردى، تحتضنها وتقول:

- باقي عشر دقائق على صلاة الفجر.

- لا !!

- يا «نوارة».

- بنت مش هتناديني أبدًا بـ«نانا» وتتأدي؟ وبعدين يعنى إيه لا؟

- يعنى مش هناديكي بنانا أبدًا.

تبتسم «نوارة» وتقول:

- قومي صلي الفجر.

- حاضر.

- أيوة كدا ربنا يرضى عنك.

بعد الفروغ من الصلاة تضع لها معلقة عسل أبيض كبيرة في فمها
بالغضب مستسلمة «دينا» ل«نورة» وكأنها طفلتها على كبر.. الساعة
الثامنة توقظها «نورة» باقترابها:

- كسلانة.

تبتسم «دينا» ولا ترد عليها...

- عفريته.

- يا نعم.

- يالا علشان تحكىلى عن «الحلم»

- تدفعي كام؟

- تنفع أغنية نادرة لفيروز.

- بالله عليك.. طب قولي اسمها.. أسمع الأول!

من على أحد المكاتب في القطاعات الخاصة، تصل «دينا» لعملها
ووجهها يبدو عليه السعادة والراحة تستقبلها «تسنيم» زميلة عملها
- دا إية الحلاوة والروقان اللى على وشك دا كله؟ أنتِ كنتِ عند نورة؟
- بالظبط ومش بس كدا، دا أنا كنت بايئة عندها كمان.
- أوعدنا يا رب.

- أكلتي إيه؟

- هههههه همك على بطنك أنتِ يا «تسنيم»..أكلت الأكل إلى بتحبيه!

- يبقى «لحمة بالقراصيا» وصينية قرع عسلي.
- بالظبط كدا.
- يضحكان سوياً، ثم يلتفتان لخطة عملهم وخطة اليوم، وسط الإنشغال بمهام اليوم والاندماج في العمل تقول دينا منادية صديقتها:
- «تسنيم».. التغير مطلوب، خلاص أنا قررت أطلع شرم الشيخ.
- بجد والله؟!.. و القرار دا أخذته بعقلك ولا بقلبك؟
- أخذته بهرموناتي!!!
- ههههههه.. تضحك «تسنيم».
- أنتِ مجنونة يا «دينا» صح؟.. إحنا يا دوب فاكين في البلد «حظر التجول» ويقولوا كماين ثم إن مافيش أوتوبيسات دلوقتي ولا هتسافري بالطيارة؟
- منين بقى؟ من المبيعات؟، ولا من تأخيري الصبح والخصومات؟، ولا «البريزنتيشن» اللي بيتعمل منك يا «تسنيم» صح زيادة على اللزوم وفي الآخر العميل ما بيتصلش بينا.
- خدي يا «دينا» هنا.. أنتِ ندهتك النداهة ولا إية؟
- آاااا.. أنا هسافر شرم مش فاضية أنا محضر شنطتي.
- والمدير يا بنتي؟
- قوليله إني في أجازة مفتوحة.
- طب والشيخ للى أنتِ مستنياه؟

- حلال عليه ياخده.

غابت «دينا» في هذا القرار المفاجئ وهي تتذكر بداخلها «الحلم».. وما الذي رآته دينا بالحلم؟.. «مركب كبير ساحر، لونه أزرق يبدو جميلاً، في وسط شارع لا تعرفه، وبالأحرى مكان لا تعرفه، وحيال من خارجها، مياه جارية لونها أزرق أيضاً تحت المركب في وسط طريق!..»
«منتهى التخريف»

تعتصر ذهنها كم عدد الحبال التي رأتها تخرج من هذا المركب؟ تشعر أنها تحلق بالسماء.. «ويبقى كدة ولا أجده سحاب يلغوش على اللى بتشوفه «دينا» في أحلامها...

تبتسم في صمت ولا تعرف ماذا يخبئ لها الغد؟.. أغداً ألقاك؟.. كانت تقصد الحبل طبعاً.. «كدا تمام أوى»...

تصل مكتب السوبرجيت، تحدث موظف الحجز:

- من فضلك عاوزه تذكرة لشرم الشيخ.

- حضرتك حجزت أوتيل؟ علشان الحجوزات الفترة دي صعبة شوية.

- آاة طبعاً!.. الحجز من فضلك هيكون الساعة كام؟

- الحقيقة أول معاد بعد ثلاث تيام يا أستاذة.

- يارب يطلعوا ثلاث حبال.

- حضرتك بتكلميني؟

- لا أبداً متشغلش بالك.

- تسعة صباحًا.
- دة يوصل كام؟
- يا فندم يوصل بالسلامة سبعة مساءً.
- اتفضلي.
- أشكرك جدًا.
- يرن هاتف «دينا» لترد، فتجد أنها «تسنيم»...
- إيه عملتي إيه حجزتي؟
- آه.. تصوري لقيت تذكرة بعد ثلاث تيام.
- طب كويس أوى بقولك يا «دينا» تصورى الشيك وصل.
- بجد؟!
- آه ارجعي يا محظوظة تانى وخدى فلوسك ما تنسيش تعدى على الحسابات.
- حلو دا.
- ابتسامة أخرى من «دينا».. «حجرت تذكرتها، فلوس زيادة.. سبحان الله، لابد وأنها دعوة «نواره» بعدما حكّت لها عن «الحلم».. أم أنها بركة الحبل؟ أكيد حبال الحلم دى مبروكة أو ألف مبروك عليها الجنان.. لكنها مستمرة فى فكرتها، ومغامراتها المتعددة تبحث عن أى حبل؟.. هل هو «حبل الوصال»، أم أنه حبل «سير الأنبياء» التي قرأت عنها فى الكتب، أم أنه حبل وهمي؟

تسترجع «بداخلها» مشاهد الحلم وصورة.. تغوص، تشرذ، في دنيا
ما وراء الأحلام.. تستلم شيكها لتعد النقود فتتذكر الحبل.. يسألها
المحاسب:

- تمام كدا يا «دنيا»؟
- طول عمرك تمام يا أستاذ «حسن».
- ادعي لنا معاك يا ستى.
- يا عم «حسن» هو أنا طالعة الحجاز!!
- يا ستى.. أهو كله «حبل وصال».. تعرفى إن بينك وبين السعودية
مفيش.
- آه والله.

تصمت.. كيف يسمح لنفسه «حسن» حتى يتحدث عن الحبل الذي
يخص «ديننا» يابركة الحبل.. اصمدي.. هي تحتاج أن ترتب أفكارها.. أول
تجربة لها في شرم الشيخ ولا تريد إلا الحبل، لا يوجد راحة، فلنبداً في
رحلة البحث عن الحبل.. يرن هاتفها مرة أخرى.. تفكر ألا ترد لكن كم
يشغلها فكرة الحبل؟.. لربما عرفت أي إشارة عنه.. إنها «رشا» صديقتها..
- ألو.. «ديننا».

- ها.

- مش هتصدقني أنا فين؟
- فين ياستي؟

- في شرم الشيخ!!!
- شرم؟! إيه دا بجد؟!
- آه والله.. جيتي على بالي قولت أكلمك، ما تيجي يا «دينا» تقعدي معايا ثلاث تيام؟.. أنا جوزي مسافر وهقعد مع الولاد ثلاث تيام من غيره.. ويا يرجع ياخدنا للقاهرة يا نرجع كلنا سوا إيه رأيك؟
- موافقة.
- طيب مش عاوزة تعرفي الأوتيل؟
- لا.
- طيب حتحجزى إمتى؟
- هرد عليكِ بكره.
- رغبة أوى أنا.. بردو حكلمك.
- ماشى براحتك بس بلغيني قبلها إيه حيحصل.
- إن شاء الله.
- يا بركة الحبل.. ورغم كل روح الفكاهة والتمرد والتحرر بداخل «دينا» إلا أنها سعيدة بقرار السفر المفاجئ.. متألفة، مشرقة، ولا تعرف السبب.
- في اليوم التالى... تهاتف «دينا» صديقتها...
- ألو «رشا».. أنا حجزت بعد بكرة بإذن الله.
- برافو عليكِ جبعلك التفاصيل على تليفونك.. بقولك هاتيلي «لب» معاكِ وحياتك علشان مش عارفة أشتري لب من هنا.. غالي.

- لب يا «رشا»؟!.. أنتِ إيه الطموح اللى أنتِ فيه دا؟ أنا دماغى مشغولة بالسفر وهشتري نواقص وأنتِ بتفكري في بطنك؟.. ومش عاوزه جبنة قديمة بالمرة تدوقها للأجانب.

[illegible]

- لا تصویری وسام کان واخذ من مامته وخلصناها هنا.

- فعلا؟.. «رشا» أنتوا بتاكلوا في الأوضة لب وجبنة قديمة والعيال إيه باليل؟ بتحطوها في نص فينو؟

[illegible]

- عيب عليكِ.. يخرييت الذل كل ده عشان ثلاث تيام؟.. خلاص يا ستي مش عاوزه حاجة منك.

- هههه خلاص ما تزعليش حتنيل وأشتريك سلام بقى.

تبتسم «دينا» متوسمة أن الجبنة القديمة واللب فادرين، على إبطال مفعول «الحبل السحري» مثلاً أو أن بركة الحبل في حد ذاته كان يلزم لها شراء بعض «المقبلات».

الساعة الثامنة صباحًا:

تهاتف «دينا» «نوار»..

- «نوارتي» حبيبتى أنا حسافر شرم الشيخ كمان ساعة.. حعمل بنصيحتك
إنى أغير جو وأفصل عن كل حاجة، ساكتة لية يا «حبيبتى» ؟
- حقول إيه؟ خدى بالك من نفسك يا «دينا» لو سمحت.

- حاضر يا حبيبتى.

تودع «دينا» شارعها، متحمسة أن تسمع بداخلها خبراً مثلاً عن
الحبل، وتنظر إلى الحقيبة المليئة بالملابس واللب والجبنة القديمة «لرشا»
أما ملابسها فتكفي لخمس أيام وليس ثلاثة.. لماذا؟ لاتعرف السبب!!
بأق من الزمن نصف ساعة، ها هى تصل، تُخرج تذكرتها، وتساءل:
- لو سمحت أتوبيس شرم الشيخ الساعة 9؟
- أهو هناك.

يأتى شاب يلصق على يد الحقيبة رقما ويلصق فى ظهر التذكرة الجزء
الآخر:
- اتفضلي.

تركب «دينا» الأتوبيس وبداخلها حلم الحبل، أو اكتشافه أو
حتى قتل السراب بداخلها!!.. كان كرسي دينا بجانب السائق.. مكان
استراتيجي فعلاً، تقرر بداخلها ألا تغفل، حتى لا تتشغل عن الطريق، أو
عن رحلة البحث عن «الحبل المشوكة»، التي لم ترتب لها على الإطلاق،
هى بداخلها فى العموم مجرد طفلة كبيرة، أما الآن بداخلها «فوضى
الأفكار».

تعمل «دينا» فى وكالة للإعلانات، عمل يناسب شخصيتها وأفكارها
الغير تقليدية، ولكنها تبحث أغلب الوقت عن «حبل الأفكار» الجديدة
والمبتكرة، وتبحث مع عائلتها عن «حبل الوصال»، كما أنها تمتلك «أحبال

صوتية» لابس بها حيث كانت تغني على مسرح الجامعة منذ حوالي عشر سنوات.. ومن منا حياته ليست مليئة أو محملة «بالأحبال»؟ هكذا تردد لها «نواره» هذه الجملة دومًا، لكن «دينا» عندما تمرض تشعر بأن حبلا يلتف حول رقبتها حد الاختناق.. والأوقع أنها ترفض وبشدة القيود، تشعر إنها مجرد حبال لكبت حريتها، لكنها تحب «حبل المسؤولية» ولو طال بها العمر وأنجبت ستكون أسعد مخلوقة على وجه الأرض، فقبل أن ترى مولودها ستغذيه «بحبلها السرى».. وإن استطاعت ساعتها النطق والإفاقة من البنج، ستوصي بكلمات يملؤها الحب ألا ينقطع «حبل الود»، والحب والوصال، بينها وبين طفلها أبدًا.. ليخرج طفلها من حباله الصغيرة، أول صرخات الحياة، إنا نأتي الدنيا بصراخ، وعندما نفارقها نجد من يصرخ علينا أو حتى لا نجد، ويقطع عنا الله عز وجل حبل أعمالنا في الدنيا.. يموتنا.

الساعة التاسعة إلا خمس دقائق، تتنبه «دينا» بوصول السائق داخل الأتوبيس.. رجل في أواخر الأربعينات، لطيف يربط الكرافات لآخرة في الصيف، يرتدى قميصًا بنصف كم يتقمص فيه دور الطيار المتقاعد، يحمل كوبًا من القهوة الغير محوجة، رائحة القهوة دومًا تثير شهية «دينا»، هي لا تكف عن حب القهوة، بل تعشق رائحة القهوة، - توكلنا على الله دعاء السفر حد حافظه؟

لا أحد يستجيب له! واضح أن الكل يردده في سره...

- حقول الدعاء في المايك.

عزيزي أنت وسيم وطموح، ولكن مكانك ليس هنا، هذا الرجل يعامل السوبر جيت كشركة "مصر للطيران".. ويبدأ الأتوبيس في التحرك..

- الرست الأول في «القاهرة» يا جماعة هناخذ ناس حاجزة توكلنا على الحى القيوم.

تشرّد «دينا» وتذوب في الطريق، هى عادة تعشق السفر، فهو في حد ذاته قدير على إخراجها من القيود والروتين، واستقبال دنيا جديدة تليق بهذه الشخصية الغريبة، ولكنها تشعر أحياناً أنها وحيدة، قريبة، بعيدة...!!.. تنبها كلمات السائق...

- حمد الله ع السلامة، من فضلوكوا يا حضرات الى عاوز يشرب شاي أو قهوة أو ينزل يشتري مية أو حلويات من «المأظة» معنا بالضبط نص ساعة علشان الطريق.. من فضلوكوا مش هستنى حد ربنا ييسر لنا أمرنا. سائق الأتوبيس ذو الشارب الأسود، لم تلاحظ «دينا» الشارب إلا في موقف «المأظة» كم كانت غارقة بأفكارها، ولكنها لا تبالي عن شنب سائق مصر للطيران، تنزل «دينا» من الأتوبيس وتضع نظارة الشمس لتخفى عينيها.. هناك شخص يحاول اقتحامها وهي لا تعيره اهتماما ولا حتى تعطيه فرصة!! كانت تجلس على الكرسي طوال الثلاث ساعات الماضية، لابد وأن تشرب كوب من القهوة يجعل البحث أسهل والتركيز

- أعلى.. ليأتى بجانبها هذا الشخص و يتحدث بصوت عالٍ في الهاتف..
- أنا طالع الشرم دلوقتي.. آه عاوز أتابع البازار.. الواد «مينا» مش عارف يصد.. مش حتأخر ثلاث تيام كدا بالمشيئة.. لا يا عم حبات عند «بشوى» هبقى أروح البحر كدا وأشوف الدنيا حتمشى إزاي.
- البحر؟.. الشرم؟، شاطئ سیدی بشر إياك؟! هكذا كانت تقول «دینا» لنفسها وهي تضحك بداخلها على هذا الشخص وعلى ما استخدمه من مصطلحات.. ثم يأتي لها بنفسه..
- ألاقي معاك ولاعة؟
- تعطيه الولاة بدون أن تتحدث معه أو تنظر إليه.. لیسترسل.
- معلش أصلي أخذت قرار «الشرم» بسرعة.. إيه نوع السجائر دی؟
- «دینا» لا ترد عليه...
- أنتِ خرسة؟!
- لا ترد عليه مرة أخرى...
- لا لا دا إحنا لسه بنقول يا هادی في الطريق طب نمسكه بس؟
- لا تعليق من «دینا»..
- طب مش عاوزة الولاة؟ رايحة فين طالاه ؟
- «إيه الناس الغربية دی بجد، بيقول «الشرم» وصوته عالي ويستلف ولاعة، ومستفز في نفسه، والله أنا مش عارفة الطريق دا هيعدی إزاي؟
- ببحره.. ببنتاكوره للى لابسه.. بسیدی بشره دا»

ثم يأتي «لدينا» السائق...

- أستاذة.. أنا متأسف، وعد مني مش هزعجك تاني، بس خدي ولاعتك من أختنا دا، خليها معاك علشان مش هنولع تاني سجاير إلا في «رأس سدر».. أما حضرتك فحتغيري الكرسي بعد إذنك.

- إزاي الكلام دا حضرتك؟

- أنا ما قلتش ل حضرتك مش هتسافري، لكن في إشارة جت إن الكماين متشددة ولازم يطلع معايا مساعد يركب في الكرسي علشان ما ناخدش مخالفة، غصب عني والله.. ولازم لما أعدي على الكمين يلاقوا جمبي مساعد دا هيووفر علينا وعليكوا إجراءات كتير.. أنا آسف والله مش بمزاجي.

- كلك ذوق ولا يهمك.

- أنا اسمي طارق.. لو حضرتك احتاجتي مني أي شيء طول الطريق أنا تحت أمرك.

- شكرًا يا أستاذ «طارق» كلك ذوق.. يلا تفضلي.

- أهلاً وسهلاً ست الخرسة؟

من الذى يحدث «دينا»؟.. نفس الشخص المزعج يجلس بجوار «دينا» الآن...

- أنا بقى يا ستي أحسن وأذوق، سيبتلك الكرسي اللي جنب الشباك علشان لو حبيتي، ثقيلي!

أقيل؟!...

- محسوبك يبقى «مايكل» عندي نص بازار في «الشرم» ومش متجوز
طبعا!!!

لتقول «دينا» في سرها بالنسبة للحجاب إيه يا بعيد ؟
- أنت إيه حكايتك يا جدع إنت؟.. الأول تستلف ولاعة وبعدين تتكلم
معايا بدون سابق معرفة، وبعدين تقولى أنتِ خرسة، وبعدين طلعت
أحسن وأذوق منك.. إحنا أيا منا سودا مع بعض على فكرة.
- أيا منا؟!.. دول كلهم ساعات مالك «حماية» ليه كدا؟ هاه خليك فريش.
«الغريب إنه بيعيد الجمل.. من المؤكد إنه «بغبغان بحبل».. جابوا

وحطوا عليك يا بعيد.. اخرس بقى أنا مش فيقالك!!!

- حتنامي صح؟ ما لسة بدري!!.. معاك سماعات؟

كل ذلك ولا ترد عليه «دينا»...

- طب أنتِ إسكندرانية ؟

لقد فاض بها!!!

- أومال كنت في الأتوبيس بعمل إيه؟ بوصل طرد!!

- لا لا أنتِ حالتك مستعصية.. لو سمحت في إمكانية نشترى عصير؟

كان «مايكل» يسأل السائق...

- آه طبعا تحت أمرك في شرم بقى.

ليضحك عليه باقي ركاب الأتوبيس....

لا أتوبيس ذنوب دا ولا إيه يا ربى؟.. هكذا تقول «دينا» فى نفسها
منزعجة، و«مايكل» لا يكف عن الإزعاج..

- كنت عاوز إثنين كوكتيل وثلاثة مانجا.

- احمينا من عبيدك يارب.

كانت «دينا» عليها أن تقنعه أنها لا تسمعه، وضعت السماعات دون
أن تستمع لشئ وأوهمته أنها نامت، كي يكف عن الإزعاج.. مستندة
برأسها على النافذة.. وأحلامها و«نواره» و عائلتها، وعملها، كل ذلك يمر
أمامها من النافذة الصغيرة، ولكن كل ذلك يمر سريعاً، بسرعة الأتوبيس.
شعرت «دينا» بشئ داخل قلبها الصغير.. بشئ يجذبها، أو شئ
يأسرها ويأسر قلبها الذي طالما وصفه الآخرون بكل الأوصاف وكل
المعاني وكل المصطلحات.. ها هو الأتوبيس يصل لأول كمين.. كلاب
مرعبة، حراسات تبدو خاصة، بل تبدو خاصة جداً، والسرعة تبدأ في
الهدوء للهدوء ثم الوقوف وتستعد نفسياً للتفتيش هي وكل من معها..
بداخل الأتوبيس.. ما بال «المايكل» يتابع الموقف صامت.. يا للعجب
هل يصمت هذا الكائن؟.. وتبدأ القوات في التحري..

- كارنيهك لوسمحت.

هكذا قال الضابط للسائق..

- أهلا وسهلا اتفضل أستاذ ”طارق“.. نورت الأسفلت يا فندم.

- مش حنتفتش؟

- يا باشا عيب الكلام دا.
- طيب حضرتك شاكك في حد؟
- لا يا فندم كله نضيف.
- اتأكدت بنفسك؟
- طبعاً.
- بس فيه ناس هنا عاملة دوشة.
- مين دول؟
- لا خلاص يا باشا المسامح كريم.
- طيب طريق السلامة.
- طمننا لما توصل.
- حيحصل بإذن الله.
- يخيم هنا الصمت.. هل هذا يعقل؟.. وهذا «المايكل» يصمت ماذا يجري؟.. هل الأستاذ «طارق» ضابط متقاعد مثلاً؟ ومال الصمت يخيم على العربة هكذا؟.. أكيد أنا أحلم.. لتستعيد «دينا» شعور بفوضى في قلبها، فوضى وأسئلة بداخلها.. من يكون «طارق» يا ترى؟ هل هذا بركة الحلم أم بركة الحبال أم أنها مجرد صدفة؟.. وفجأة بدون إنذار يقول مايكل لدينا:
- أكيد أنا قديس.
- يقولها بنبرة خافتة وكأنه خائف..

- مين أنت؟
- هكذا تسأله «دينا»..
- لا يا عم القديس.. الكلام واضح وصريح.. أنت دوشة وقسمًا عظمًا
لو ما رجعت تسكت ثاني، لأنزل بنفسى الكمين الجاي أبلغ عليك وأقول
إنك إخوان ودقيق (صليب) ومتخفي، حلّني بقى يا عم القديس لما
يثبتوا.
- يا نهار أسود ليه كدا... طاه؟
- هو كدا!!.. أنا متحملاك بالعافية، كل ساعتين تغيب وتقوم تهري.
- ماشي ميعادنا نولع سجائر في «رأس سدر»
- يادي «رأس سدر» ما تسكت بقى.
- حاضر.
- يقول «طارق»:
- باقي على «رأس سدر» ساعة أنا بنبه بس.
- يالا استعدي.
- هكذا يقول «مايكل»...
- بالطول بالعرض ساعة، رحمتك علينا يارب، استنفذت صبرها دينا..
- حمّية وخلقية ليه كدا؟!
- والبعيد مستفز ليه كدا؟
- لا خلاص أنا مش عاوز أضرب، دا اللي فاضلي.. أنت واخداني وش من

ساعة ما اتهببت ركبت.. أنتِ وأستاذ «طارق» ومش عارف السبب؟

- فعلا؟!

- وكان فاضل يبلغ عني وكان حييعنى في الكمين الى فات.

لترد عليه دينا..

- ما هو من عميلك وهرتلتك.

- أصل أنتِ مش فاهمة.

- آه مش فاهمة إيه بقى؟

- أقولك.. أنا إتمرمطت بما فيه الكفاية، جعت واتعريت واستلفت،

وبعت الي ورايا واللي قدامى في حلم النص بازار بتاع «الشرم» دا،

وجيت الطريق دا بعدد شعر راسي، واللي زاد وغطى الثورة وعميلها..

إحنا اتخرب بيتنا هناك، وبنبيع بضايعنا بنص التمن، في ناس قفلت

وصفت، وناس مش لاقية تبيع واشتكينا لربنا هنعمل ايه؟

- سوري يا «مايكل» خلاص معلش ماتزعلش.

- الله ما أنتِ طيبة أهو، مديانا إichاء إنك بتاكلني البني آدمين ليه؟.. ولا

إكمنك مسافرة لوحذك ولا ظابط ولا رابط.

ضحكت «دينا».. «فعلاً والله «مايكل» معاه حق بس بردوا مزعج مش

عاوز يسكت.

- بس وصلنا الحمد لله، أخيراً هشرب شاي.

- مش كان عصير من شوية.

- في اندهاش من أمرها..
- أنتِ بتعملى إيه؟.. بتحجّي كمسلمة يعني!.
- اسكت!!
- لا مش هسكت!!
- إيه دا يا مايكل أنت «قديس»؟
- انتهازتها فرصة لتخليص حقها من هذا الكائن المزعج..
- بلا قديس بلا نيلة.. أنا مش راجع معاك باقي الطريق.
- والله لأقعد في الأرض.
- هههههههههههه.. يكون أحسن والله.. هو أنا ناقص دة أنا مجنون خلقة!!
- تضحك «دينا» بالفعل في سعادة، وذ هول.. بداخلها شعور غريب وجميل ورهبة وإجابات لأسئلتها شافية راضية.. أحياناً أراضٍ بعيدة عن مخيلتنا تماماً بها إجابات وصور وترجمة لخواطر علينا.. نراها في عالمنا الخاص.. مشاهد ما وراء العقل، هنالك قوة خفية بداخلنا تأخذنا لبعيد، وليس بالضرورة أبداً أن نتجاهل ذلك، أو حتى نطلق عليه سرّاً، أو حتى درب من الجنون.. أحياناً تأتينا صور أو رسائل أو حتى مشاهد بدون ترتيب ولا إنذار «دنيا ما وراء العقل».
- إن ألوان المركب الحقيقية التي رأتها أمامها زاهية جميلة زرقاء حقاً أسرتها.. كانت «دينا» تطمح في حبال بداخلها، تراهم.. تنشغل بهم، لكن على ما يبدو أن «حبال الوصال» كثيرة متعددة ومتنوعة.. علينا ألا

نتجاهلهم أبداً و لا نجعلهم مبعثرين بداخلنا، بل علينا أن نعرفهم أو حتى نبحت عنهم، لكي لا نضل أو نضيع أو نتشتت ولا تنقطع «أحبال وصالنا» أبداً بالله، قد تكون قوى خفية بداخلنا يهبها لنا، ولكي لا ينقطع حبل وصالنا بخاطر الله الأعلى؛ يرسله لنا عز وجل كرسائل، كوسائل، أو حتى كصور بداخلنا وكمشاهد... ليقيننا أنه عز وجل.. أقرب لنا من «حبل الوريد»...

أربعون دقيقة

«آدم» وما أدراك ما «آدم»، يرتدي النظارة الأنيقة وتشرذ عيناه بداخلها وتجوب في الأرجاء، كانت هدية من حبيبته، أقصد من كانت حبيبته.. هو يعرف جيداً أنها معطاءة، ناعمة كرمال، شفافة كالسما في ليلة صافية، بل يعرف بداخله أنها كالسحاب القطني، لا أحد يختلف على لون قلبها الأبيض.

كم كانت ممتلئة بالحيوية والشباب، هي كطائر النورس، حر طليق، يتخذ الحرية عنواناً لا يتبدل ولا يتأثر.. ولكن الصرخة بداخله تدوي لماذا تركها؟.. كان هذا السؤال داخل عقله بمثابة صوت لا يجعله يغفو، بل أحياناً يوجه من عقله إلى قلبه بمنتهى الحدة.. لماذا تركتها قبل حتى أن تجف دموعها وقبل أن يجف دمه؟.. أين ذهبت الوعود التي عاهدنا بها بعضنا؟ إلى أين ذهبت؟.. إلى سراك أنت، كنت تعلم أن الشمس تشرق بداخل قلبها قبل سمائك أنت، محبوبتك التي انتظرتها سنين، وفرحت معها، وسعدت بقدمها.. «أأنت الوريث الشرعي الوحيد لغباك؟».. كيف تسلل إليك الملل لهذا الحد؟ وكيف ماتت بك بعض المشاعر التي كانت على الأقل تحافظ على بقائك حياً!!

إمّا الإجابة الأصعب في الملل حين تسلل إليك، وجدك هادئاً سلساً واستطعت أن تريح به قلبك بمنتهى السذاجة، بعدما كنت لا تستطيع

النوم إلا على صوتها، كيف توقف كل شيء؟.. إنك أنت من أطفأت النور الداخلي والخارجي لأوصالك.. و فجأة وبدون مقدمات ولا حتى مبررات لها ولك.

أذكر حين نظرت إليك بأسى! ثم إلى السماء الواسعة وسألتك بعفوية «ماذا يدور بداخلك صارحني؟»، لكنك أنهيت الجملة «بلا شيء»، وكان ذلك كل شيء.. والكارثة أنه فعلاً لم يحدث شيء، كيف حالك الآن أيها الجبان؟ كم أنت تعس بقرارك الأهوج؟.. توقفت في المنتصف، وكأنك عربة مستهلكة قطعت مشواراً وكنت أنت وحدك بداخلها، أكنت تظن نفسك مغواراً؟.. لكن الأوقع أنك لن تستطيع إدارة المحرك وحدك، بل ولا تريد استكمال ما تبقى لك من الطريق.. حائرًا، متخبطًا، ثابت الخطى لقرارك أنت فقط!!

تسأل بداخلك بلا جواب شافٍ.. يصرخ صوتك حد الاختناق ألا مسموع، لقد كنت سيد قرارك، عبدًا لهواجسك، وكانت هي تراقب كل هذا بصمت وألم.. من ضعفها أحبتك بلا شك، ولكنها ارتسمت لك خيالاً غير واضح على الإطلاق.. ماذا أعطيت لهذه المسكينة المستكينة؟.. أأهديت لها يوماً حباً محطماً بلا ضمانات؟، أهو يعدُّ هروباً بلا مبررات؟، أم انسحاب أطاح بكل عهود الأمان!!.. أي أنثى تستطيع أن تتحمل كل هذا؟.. هل تبكي الآن على ما فات؟ أم على ما هو آت؟ إنك حتى لا تمتلك الجرأة لسماع صوتها أو الإطمئنان عليها ورؤيتها من بعيد.

كنت لها ذنبًا دعت الله ألا يغفره، كنت لها بيتًا من بيوت العنكبوت، وهنًا على وهن.. كيف طاوَعك لسانك أن تقول لها أحبك، وليس لي سواك، وسبحان من سواك.. كنت لا تطيق حتى الابتعاد عنها حتى أنها قالت لك يومًا من الأيام.. «حبيبي أنت كذا بتطاردني مش بتحبني».. وكان ردك «استحلمي!!»

كان قلبك يخفق فوق دقاته دقات حين تراها، أين اندثرت اللففة والشوق؟.. أين تناثرت؟ كيف تبعثرت بهذا الشكل؟.. ولماذا تأتي في نفس المكان الذي كنتما تجلسان فيه سويًا؟.. أتحاول أن تتشمم عطرها؟ ولماذا تصر على الجلوس في نفس المقعد الذي كانت تجلس هي فيه؟ أتظنها ستأتي.. كم أنت واهم!.. بل يظل المقعد الآخر خاويًا.. ولماذا تطلب من النادل كوبين مياه بجانب زجاجة مائك؟ أليدك أمل أو حتى وهمًا أنها ستأتي رغم كل ذلك!، ولماذا أصبحت تشرب قهوتك «سكر زيادة» وهي التي كانت تشربها كذلك، ولماذا ترتدي ذات القميص كل مرة؟.. أذكرك بها؟.. وأنت تعلم وقلبك يعلم أنك لن تنساها.. ماذا تنتظر منها؟.. تذكر حين بكيت لك وقالت «لماذا كل هذا وعلى ماذا؟» وأنت تلعب وحدك دور البطل الصامت، الصادم، دون جمهور!.. أتلذذ بالعذاب؟ وكيفيك؟ هل هذا مرضٍ بالنسبة لك! أو حتى يبدو مُجديًا! لم يكن لا مُرضيًا ولا مُجديًا لك ولما تبقى لك من أشلاء نفسك.. لماذا لم تعد تسمع فضل شاكر ولو على سبيل المصادفة، وإن تصادفت بأغنية

له بالراديو توقفها في الحال؟.. ماذا تريد بداخلك؟.. تحولت قهوتك، وتقلبت موجتك.. كفى عذابًا ويأسًا وهماً على سراب، اذهب لها الآن في معرضها، ألا يكفي أربعة أشهر بلا علامات ولا كلمات ولا حتى رنة هاتف، الآن أفضل حتمًا من غد، لعلها تصفح، لعلها تسمع، لعلها حتى لم تسافر، لعلك أنت تستطيع أن تنام، أو تستطيع استعادة أى شئ، مما تبقى من لوح الزجاج الذي حطمته وحدك، جرحتها وشوهت نفسك بداخل كلمات غير مفهومة وأسباب واهية.. استعد ما تبقى منك وما لك من جرأة، وما تبقى لها من حرقه المشاعر.

إن الضعف ليس عيب أحيانًا، ولكن العيب هو أن تستسلم له أكثر من ذلك، وما الذى يبقيك على كل هذا؟ لم يعد للحياة لا طعم، ولا رائحة، ولا لون ولا حتى نكهة، إلا نكهة الألم فوحدها لك، لم يعد بداخلك حتى روح، إن لحظات التحرر من الاستسلام أفضل بكثير من البكاء والانهازم.

وبالفعل اتخذ «آدم» قراره، يمشى مهرولًا، كأنه يعوّض خطوات، ويختزل الساعات والأيام والشهور التي مضت، ولا يطيق حتى دقائق قلبه، ولا الأصوات من حوله، ولا حتى عقرب الساعة التي يرتديها بيده، هى تحب الورد، ماذا لو اشتريت لها أنواع الورد التي تحبها؟.. أياكون ذلك أفضل بكثير من التحدث لأول دقيقتين، لعلني أرى نصف ابتسامة منها، الآن أرتضي بأنصاف الحلول، وأنصاف الابتسامات، إذا ابتسمت

لك!! لعل.. المدهش في الأمر هنا هو.. لقد ارتسمت على ملامحه الجافة لشهور وشهور نصف ابتسامة، فقط لفكرة استعادة ولو جزء من روحها في مخيلته وذاكرته، بل وعقله اختزن رائحة عطرها، أخرجها في محل الورود، صارت بفعل فواحة الزهور الصافية، هنا يعيد بائع الورود على مسامحه السؤال.

- أرشلك معطر عليه يا بيه؟ يا بيه؟

- حضرتك بتكلمني أنا صح؟

- أيوة أرشلك عليه معطر؟

- لا..لا هي ريحتها معطر!

- هي إيه!

- ولا حاجة.

يحمل «البوكيه» بيده ويمشى مسرعاً، إنها الخامسة إلا خمس دقائق عصرًا كحد أقصى، باقي من الزمن خمس دقائق فارقة، منتظرة، يكاد قلبه ينخلع من ضلوعه من الترقب والخوف، يبدو أن صوت صخب عقله، مع صوت اعتلاء ضربات قلبه، يكاد ينفجر كالقنبلة التي أصبحت فجأة لمدة خمس دقائق موقوتة، بل والأغرب أنه يرتدى نظارتها ويخلعها في الدقيقة مرتين، هو يخاف عيونها، يخاف قلبها، يخاف منها، يخاف أن ترمقه بنظرة فيبكي أمامها، ولا شئ ساعته يستطيع أن يوقفه.

في غصون دقيقة فقط من الانتظار، لفت نظره شاب يرتدى تيشيرتًا

وكابًا، ونظارة شمس به حيوية، يبدو أنه ينتظر حبيبته هو الآخر، أو أنه على ميعاد، إنما يقف في جراءة وثبات، لماذا حكم عليه أنه يقف في جراءة وثبات؟.. لربما لا يخفق قلبه مثل «آدم» في الدقات، لربما يثبت أكثر منه بكثير، لربما الوقفة في حد ذاتها توحى بالجراءة الغير مبالغ فيها، لكن الجراءة هنا تتفوق على المشهد، يتشمم رائحة عطرها تفوح، هي خارجة ويسبقها عطرها دومًا بخطوات، يعلو وجهها ابتسامة واضحة هادئة، بصرها على امتداد، وكأنها تستعد للحظة الانطلاق تقترب وتقترب، ها هي تمر بجانبه حد الالتصاق، ولكنها لا تراه! وبخفة وعفوية وحركة منها لا إرادية! تلتفت أمامه على الرصيف المجاور «الشاب المنتظر» وفي لمح البصر وبإطمئنان تقطع الشارع للوصول إليه، ويخلع هو الآخر نظارته ليمسك بيديها الاثنتين بحفاوة وابتسامة وتبتسم هي الأخرى بوجهه برقة وبراءة وبحنين واضح، أما «آدم» فيقرأ شفاه الشاب من على بعد وهي تتمم وحشتيني!.. ليرسخ المشهد بداخله مصعوقًا، هل هذا حلمًا أم أنها حقيقة؟ أمازلت هنا أم أني...؟! ماذا بك أيها القدر وماذا يجري حولي؟ وماذا يجري حوله هو.

تتشابك أياديهما.. ويختفيان.. إن خطواتهما تشبه بعضهما البعض، هما لا يمشيان على الأرض، بل هي كلها محاولات للطيران، ولكن «آدم» يستوقفه شئ بداخله، نظرة منها لحبيبها.. ما هذه النظرة؟ هو لا يعرف هذه النظرة.. هي لم تنظر له هذه النظرة أبدًا!

هي نظرة ممتزجة بأشياء كثيرة ومعاني أكثر.. هي نظرة بها افتقاد، شقاوة، على امتزاج بالأمان، على صوص من الفرحه يأتي لنا هنا بأطعمة كثيرة.. ويأتي من وراء هذه النظرة، الكثير والكثير.. هو لا يشعر بأنامله، هو بالفعل لا يشعر بشئ، لقد اختفيا عن النظر هذا على ما يبدو له، اختفت حبيبته عن أنظاره.. أقصد من كانت حبيبته.

يرفع يده بمنتهى الصعوبة، وكأنها لحظات الإفاقة، من جراحة لمرض لم يشخص بعد.. أي يد تريد تحريكها أيها المخدر تدريجيًا، اليد التي تحمل الورود أم اليد الأخرى، كل الأوصال هنا معطلة بالكامل إنها الخامسة والأربعون دقيقة!! لقد كلفك محاولة استيعاب المشهد أربعون دقيقة.. لأربعون دقيقة تقف هنا.. ما بالك أيها الوريث الشرعي؟ تمتع بإرثك الآن!! فما بالك أيها القدر؟.. وما بالك أيتها الساعة.. كيف حالك يا قلبي الآن؟ توقفت؟ أجبني لماذا صمت ياعقلي؟ أتعطلت الآن؟ توقفت عن الثثرة والضوضاء؟ أم عن الصراخ والنحيب، أنا حتى لا أستطيع سماع صوت دقاتك، أتوقفت آلامي الآن؟ فقط أحاول جاهدًا أن أفهم ماذا دار هنا؟.. يرد قلبه في غصة، هي لم تكن سعيدة معي على الإطلاق، لم أكن أعطيها الأمان، لم يكن قلبي لها بيتًا، ولا حتى استراحة، لم يكن قلبي يتحملها، أو حتى يستوعبها، بل كان بارعًا فقط في وداعها، إنها خيبة الأمل.

أنا لم يعد لي حتى ألم ولا أمل، الآن فقط أحاول أن ألملم أوصالي

كي أتحرك «لا شئ معي».. أنا حتى أحاول أن أستعيد الألم من التجمد الذي أبدو عليه الآن، ألمي الذي كان وما سوف يكون.. كل ما على هو أن أحاول حتى أن أنام.. فأنا لا أنام.. إن عقله وقلبه يستمعون لدوي أصوات التعاسة والصراخ.. حتى وريثه الشرعي الوحيد الآن، جمد كل مدخراته، بجانب مايرقد، بجانب الورد المجفف، الذي وضعه بجانبه على الكومو، إنه يسحب الأكسجين تدريجيًا داخل الغرفة، النور مازال مضئًا بالغرفة.. وسيظل مضئًا.. لعله يمحو الظلام بداخله.. لعله يدخل بصيص من النور لقلبه.. لعله يجعله حتى ينام.

أطالت النظر في التابلوه

بعد مرور عدد من الدقائق هي لا تعرفه، لكن دموعها التي تتساقط أمامها بغزارة تحاول أن تحدده، تقريبًا كان أقل من نصف ساعة وأكثر من عشرين دقيقة، هي باهتة، حزينة، أصبحت وحيدة، متوجهة بسيارتها لتناول الغداء خارج «القرية السياحية» التي أتت لها هروبًا مما تبقى لها من أحزانها، وبعدما صُفَّت سيارتها الصغيرة أمام الرصيف بلا حرفية، هل هي تريد الوجد؟.. بالطبع لا.. أم أن كل ما تسترجعه من الذكريات خارج عن إرادتها؟!.. نزلت من سيارتها دون أن تغلق حتى زجاجها، ماذا يدور في مخيلتها؟ في كيائها كله؟ كيف تسلسلت بداخلها المشاهد المتتابعة، من كم هذا الوجد غير المبرر من قبل هذا الرجل الذي كان.. الذي تخيلته أميرًا للحب، نعم تخيلته يومًا أميرًا.. ليس عيبًا.. تصورت أنه يشهر سيف الحب، بل ويحارب به بمنتهى الرجولة وبمنتهى القوة، لكنها أحسته مع مرور الأيام، بل الشهور والسنين مجرد غفير!.. نعم غفير بالكاد يحرس عقارًا قديمًا تقليديًا لذكرى الحب الموجهة والأحداث الغريبة.

بعدما أمضت في حبه ثلاث سنوات كاملة، أهداها ثلاث «بوكيهات»، بل تابلوهات من الورود.. نعم ثلاث فقط، بل إن آخر «بوكيه» أطالت به النظر وتركته هو والغفير على طاولة في آخر لقاء جمعهما بمنتهى الأسى، جاهدت حقًا أن تبقى، ولكن فات الأوان، كان تقليديًا للغاية حاضرًا

غائبًا، ليس لديه أمل، وفي الآونة الأخيرة كان يشعرها بمنتهى الملل، أهي حزينة عليه بالفعل أم حزينة عليها؟.. كلاهما خذلان، وضعف، وهوان، ولكنها أصرت على الإحتفاظ بالقلادة، كانت ترتدي سلسلة فضية ورثتها عن جدتها، ولكنها بلا قلادة ظلت هكذا لمدة سنتين ونصف، فسألها في يوم لماذا لا ترتدي قلادة لهذه السلسلة؟ أهل من الممكن ألا أجيب هذا السؤال السخيف!.. فكان الرد «لا»، الحقيقة أن سؤالك متأخر أوى!.. فلم يعلق على جملتها برود!.

كما أشياء كثيرة مثله تأتي مع هذا الرجل دون عناية، تقليدية، متأخرة، باردة.. كل ما يدور في مخيلتها يذكرها منه بخيبة أمل كبيرة.. فتتنظر إلى السماء دومًا عن ماذا تبحث؟ تبحث عن ناقوس أمل، وها هي خيبة الأمل تبتسم لها الآن وكأنها تتجسد أمامها! تحاول ألا تستسلم، حتى أحلامها التي لطالما عاشت بداخلها هي فقط، توجه عينيها إلى الوردتين أمامها في الحديقة «وكانهم يبدو لها تابلوه» تطيل فيهما النظر مرة أخرى.. تمتد لهما يدها ببطء تتلمسهم ودموعها جارية، ما كل هذا الشجن؟ ومن أين يأتي؟ تذكرني أنك في أجازة.. كأن صوتًا حزينًا يحدثها من داخلها وكفى.

تسمع صوت «أنغام» يتسلل لها مسموعًا من مذياع سيارة لا تعرفها (مبتعلمش... من غيرة القلب ما بيحلمش)...
لا إنها مؤامرة سخيفة، هجوم عليها بالذكريات فهي تعشق «أنغام»

هذا بمثابة هبوط اضطراري لطائرة أحلام.. أحلامها لم تحلق بعيداً أبداً حتى الآن، بسبب ذاكرتها أم بسبب احتفاظها بالآلام، في صندوق الآلام.. أهي خلقت لا تنسى؟!.. ألم يخلق لها الله هذا الشعور.. النسيان؟! فالنسيان يعد من أهم النعم.. وها هي تتحسس القلادة التي اشتريتها لنفسها لتملاً فراغ السلسلة.. راقصة باليه شاردة تقف على أطراف أصابعها متأهبة، رافعة يديها للسماء موجهة وجهها وعينها إلى السماء.. هذه الراقصة في نفس الوضعية منذ كثير، وتشرذ بل تتحسس القلادة بأناملها مرة تلو الأخرى، وإذ يأتي من خلفها صوت يهمس.. «كفاية كده»!...

من هو؟ إنه الشخص الذي كان يحملق بها من داخل سيارته ولم تشعر به، ويستمتع لأغنية أنغام ليقول لها «فاروق عز».. ليس هذا الصوت الذي تود سماعه الآن، بل صوت الحزن بداخلها هو الذي يتخللها في منتهى الأسى والألم، لم تلتفت له للتو، بل أطالت لمس القلادة مرة ثالثة متعمدة ذلك، أيستدير هو ويتركها ويحترم حزنها أم أنه لا يستطيع أن يفعل ذلك؟.. ليقول «فاروق» الحقيقة..

- أنا في أجازة وحضرتك؟!

- من فضلك أنا مش حابة أي إزعاج.

- أنا متأكد من دا.

- أومال إيه؟

يفتح «فاروق» هاتفه ليريها شيئًا، لكن قبل أن ترفض يقول لها بنبرة تبدو خافتة حزينة تبحث عن الاهتمام أو عن الاحتواء..

- هي أشياء طبعًا ما متهمش حد!!!

تعجبها الجملة، فتستحي أن ترفض وتنظر إلى ما سوف يريها إياه وإذ بالمصادفة، صورة لنفس نوع الورد الذي تنظر إليه! ولكنه من شجرة أخرى ولكنها وردة حمراء يافعة جميلة.. هي وردة واحدة فقط، فتتنبه، ليبدأ «فاروق» كلامه:

- أنا الحقيقة بدور على حاجة ومش لاقيةها.

- حاجة زي إيه؟

- بدور على مفاتيحي يا ستي.

- مفاتيح العربية يا ترى ولا البيت؟

- الحقيقة لا ده ولا ده!!

- لا مش فاهمة! وممكن يكون عقلي مرهق فمش قادرة أستوعب.

- بدور ياستي على مفاتيحي أنا «كفاروق» وسط الورد الجميل دا وخصوصًا وسط الوردة الحمراء اللطيفة دي.

يرد قلبها يا للعجب كم هو بسيط!!

- إوعي تقولي جواكِ الراجل دا بسيط، ولية مكنش عميق ومش قایل لحد، مش حبتتسمي؟!!!

هي تحاول الابتسام لكنها لا تستطيع بالفعل، ويقدر «فاروق» ذلك.

- تعرفي أسامي الورود الى أنتِ سرحانة فيها دى بقالك ساعة؟ تعرفي ألوانها معناها إيه؟ غير إنها هوايتي كنت قريت مرة كتاب عن معاني الألوان.

ترد باندهاش:

- الحقيقة الى أعرفه أن «الأبيض» منتهى الصفاء والنقاء، أما «الأحمر» تقريبًا شدة الحب، «الأصفر» أظن للغيرة، أما البنفسجي فملك الحزن.
- برافو عليكِ.. دة أنتِ رومانسية بقى والورد مايعرفش.. بس «الروز أو اللون البمبي» بيفضلوه للاستقرار.

- استقرار في العلاقة تقصد؟

- بالطبط كدا.. ومن معاني الألوان الى اتعرفت عليها إن «الأحمر» طاقة وحب وحرارة، أما «الأخضر» فتوازن وانتعاش وإصرار وتجدد، «الأصفر» طاقة وسعادة وذكاء ولمعان، نيجي بقى «للأزرق» ثقة، وإخلاص ووفاء.
كانت تنصت له جيدًا، تعجبها كلماته.. إن «فاروق» حقًا ملئ بالحيوية والأمل، لتقول:

- يعني معنى كدا إن اللون الأحمر والأصفر بيشتركوا في نفس الصفة؟

- دا حقيقي لكن مش معقول هخلصك الكتاب كله في ساعة!!

كان «فاروق» يحاول أن يخرجها من هذه الحالة..

- أستأذنك ممكن تسببي «القلادة» دي علشان تشاوري بأيديك وأنا أقولك الأسامي ما دما اتكلمنا في الألوان والمعاني.

- الغريب أنها تستجيب له، و تترك بالفعل القلادة لتقول:
- هبدأ بالورود الكثير وألوانهم المختلفة دول هناك سبحان الله.
 - أهاااا.. دول يا حبيبتى نوع اسمه «جهنمية» هم فعلاً كثير، دا ورد ياستي من نوع خاص وبيتكاثر بسرعة وبيتأثر بالحرارة الشديدة ومبينموش غير فيها وبيفتح بسرعة جدّا، تلاقيه مثلاً في أسوان، جزيرة نباتات، في المقابر الشيك، في الفيلل وفي شرم الشيخ طبعاً.
 - فعلاً اسمه حلو أوي.
 - حضرتك اسمك إيه؟
 - اسمي «جيهان».
 - حتصدقيني لو قلتلك أنا توقعت.
 - لا حقول عليك بتبالغ!!
 - جهنمية و«جيهان» بيبدأوا بنفس الحرف.
 - هو اسم شيك ومختلف.. أنا اتسميت على اسم «جيهان السادات».
 - تعرفي إن الإسم دا فارسي مش مصري.
 - فعلاً أصوله فارسية، فيه حاجة لافتة نظري هناك.. فيه ثلاث شوالي فيهم زى ما يكون، زرع أو نوع زهرة بس كبيرة شوية.
 - ينظر «فاروق» لإتجاه إشارتها..
 - يا محاسن الصدف.. تعرفي إن دى فيلتي!
 - لا أكيد ما كنتش أعرف.

- وأنا متأكد من دا، قولتيلي إيه اللى لافت نظرك؟
- دي زهرة على فكرة مش زرعة واسمها «بنت القنصل».
- أشار «فاروق» على جيهان بسرعة وكأنه يصفها وابتسم بهدوء...
- زهرة نادرة شوية مش عاوز أقولك إن موطنها الأصلي في «المكسيك»
- لحسن تقولي عليا بيستعرض.
- لا ماتقلقش أنا قلت خلاص هههههههه.
- أخيراً ضحكتي.
- بيتهيألى إنك السبب.
- مش حتقابليلها كتير موسمها في نص الخريف للربيع.
- لكن إשמعنى دي متكررة على كل سلم من الثلاثة مرتين.
- الحقيقة إني بحبها أوي.. زهرة جميلة، أنيقة، نادرة، مش متواجدة
- طول السنة.. دي صناعي على فكرة بس معمولة بتقنية عالية، لكن أول
- ما بيبدأ موسمها بكون أنا أول واحد يشتريها وبغرق بيها بيتي بالقاهرة،
- أنا لحد دلوقتي مقدمتش نفسي!
- لا إزاي؟
- أنا ما أقصدش الاسم.
- يسير «فاروق» في إتجاه الفيلا وتتبعه «جيهان» لا إرادياً، فبدت لهما
- اليافطة تظهر مكتوباً عليها .. «فيلا ابن القنصل».
- مضبوط، أدي اليافطة قدمتني وسبقتنني.

- مين دا؟
- أنا يا «جيهان» هانم «فاروق عز» ابن القنصل ودي فيلا والدي.
- شوفت بقى أديني نسيت أقفل العربية.
- مش مشكلة أبعتلك عم «منصور» يقفلها، المفاتيح من فضلك.
- اتفضل.
- على فكرة والدتي موجودة جوا.. صحتها تعبانة، عامل السن، فبتفضل تشرب القهوة في الجنينة وسط الورود لأنها ما بتقدرش تخرج كثير. ثم يصمت «فاروق» يريد أن يبدي إعجابه الشديد «بجيهان» لكنه يتردد، ربما لحزنها، ربما للمصادفة، ربما لقصر الوقت في التعارف بينهما، لكن «ابن القنصل» برغم كل ما يدور بداخله يتهور ليقول:
- أنا انتظرتك كثير!!
- تنظر له «جيهان» باندھاش!! لكن قبل أن تنطق كان «فاروق» ينادي على عم «منصور» بصوته...
- من فضلك.. اقفل العربية الى هناك دى بسرعة «لجيهان» هانم، والهانم الكبيرة لسه في الجنينة يا عم «منصور».
- موجودة يا «فاروق» بيه.
- طيب وحياتك تأمرلنا الطباخ باتنين قهوة من البن المخصوص بتاعى، سكرك أد؟
- ايه؟

تصمت «جيهان» حائرة! ماذا يحدث في دقائق، ليرد «فاروق»:

- خلاص سكرها زى سكري يا عم «منصور».

لا تستطيع «جيهان» بدخلها إنكار شعور يتسلل إليها، يعجبها إقدام «فاروق» بالرغم من أنها لاتميل إلى الاقتحامات أبدًا، لكن «فاروق» بالفعل انتشلها من حزنها، ومن الاستسلام للألم، كفها أَلَمًا وكفها وجعًا وكفها ذكريات، نطقت «جيهان» قلقة:

- هو إحنا هنعمل إيه؟

وكانها أسيرة لدى «فاروق».. إن «فاروق» لا يحضر شيئًا على الأخص أنه لأول مرة بحياته يفعل ذلك التصرف، هو لا يشاغل أحدًا ولا يقتحم أحدًا بالفعل؛ ولا يعرف بدخله ما الذى جعله يتصرف كذلك وما الذى استوقفه، وستأكد «جيهان» بنفسها من ذلك بعد أن تعرفه جيدًا، قرر «فاروق» أن يكون على سجيته في الرد حتى آخر حرف.

- أنا من رأيي إننا نمسح الصورتين الى أخذناهم من غير ما نكون مع بعض.

- يا اه دا أنت متابع كمان إني صورت الورد.. وبعد ما نمسحهم؟

- هناخد صور جديدة يا «جيهان».. وليا طلب من فضلك، أتمنى إنك تقلعي السلسلة دي.

- تقصد القلادة.

- تكون القهوة جهزت.

في نفس التوقيت يقولان..

- بشر بها سادة.

فبيتسمان.. سبقها «فاروق» بحوالي خطوة ونظر لها قبل أن تدخل

الفيلا لتشعر بأمان.. ثم التفت لها ليقول:

- أنا حبيتك!.. أقصد حبيت الورد.

صمت.. ولكن بداخلها ابتسامة عريضة جدًا متوسمة خير.. ممسكة

بخيط «ملون» وردي منزوع الملل ملئ بالأمل، لبداية قصة حب

جديدة...

سهم كوفيد 2020

تلك الصغيرة الغريبة على رصيف القطار، روحها مرهقة لأقصى الحدود تتلو دعاء السفر بقلبها ومتممه شفتها أيضًا ولكن بداخلها، حائرة.. وتشتعل في قلبها وحدها ثورة عارمة، لكنها تدعو الله، هي المثابرة، المقدامة، الشجاعة، التي لاتهاب موقف، وللأسف لا تخشى أحدًا أيضًا.. تلك «المتحررة» التي لطالما أحبت الحرية، بل ودافعت عنها، هي لاتخشى القيود.. هي الجريئة دائمًا وأبدًا.. ولا يمنع أبدًا أثناء إرهاقها وحيرتها، أن تتلصص على المشاهد التي تحدث أمامها لربما انطفات هذه الثورة بداخلها، لربما انشغلت، تتلفت أحيانًا ويلتفت لها المارة أحيانًا أخرى، وهنالك سؤال بأعينهم، هل تقصدين القاهرة العاهرة الساهرة، بليلها الساهر؟.. بينما هي تمر أمامهم مرور الكرام، في خفة وزنها وخطواتها السريعة وكأن القطار هو حبيبها الغائب، الذي تنتظره كل فترة، هي نفسها لا تعرفها، فعلى الرصيف أمامها شاب دفعة جديدة من الجيش، أو أمن حربي، أو حتى مسافرين على نفس الرصيف.. تسأله.. ويأتي الجواب منه، سيصل القطار إلى القاهرة بعد سبع ساعات!! لتتنظر إليه مندهشة.. هل من المعقول و المقبول؟ ذلك الشاب الأسمر الذي خط شاربه في قرية لا تعرفها، وليس لديها الوقت الكافي لذلك، تكاد تتكهن أنه اليوم الأول له في الخدمة، بعد ما قرر أن يأتي للمدن يزيدها ازدحامًا ليس بجسده الضئيل، بل بغبائه الذي يحسده عليه عائلة أبو

إسماعيل بالكامل.. تنظر له ثانية مستنكرة.. سبع ساعات! لقد عبرنا في ست ساعات أيها الأبله!!.. تتركه وهو بكامل قواه العقلية كي لا يؤثر على قواها العقلية، أما نسبة الأكسجين فتتخفض تدريجيًا في الهواء.. إنها الإسكندرية المارية في أوائل شهر يوليو، ليأتي لها حامل الحقائق قائلاً:

- أساعدك يا هانم؟

تشكره بإيماءة ونصف ابتسامة.. إن الحقيقة بها عجلات ويجب عليك أن تستحم أيها الرجل كي لا يفقد من تحمل له حقيقته الوعي، والشاب الآخر الذي يسير خلفها، وأنفاسه التي تكاد تحرق قميصها القطني الذي ترتديه فهي دائماً تخشى التعرق، تستدير هي لإتجاهها، ويستدير هو معها ليسألها:

- القاهرة؟

- إن شاء الله.

- إذن احذري إنه الرصيف الخطأ!!

تندهش بداخلها!.. ما كل هذه المعلومات المغلوطة، هما رصيفان أيها المجنون هكذا تقول بداخلها، الرصيف الأول القطارات القادمة من رمسيس ذاهبة «لمحطة مصر بالإسكندرية» ينزل منه المسافرين القادمون من القاهرة كعكس الإتجاه، فلا ترد هي عليه ولا تعيره حتى اهتمامًا، تسمع صوت القطار القادم الآن على يمينها من القاهرة والفضل كل الفضل في ذلك هو سكون الهواء وارتفاع نسبة الرطوبة مع كل ذلك

كادت أن تختنق، إذن الحل زجاجة المياه التي تتصبب عرقاً منعشاً، بداخل الثلجة أمامها، فهي تشعر بالعطش وبالحرارة الشديدة، وبعد أن شربت أكثر من نصف الزجاجة، يصل وفد الأجانب، هل يستقرون بجانبها؟.. معهم أكثر من مرشد سياحي عند رصيفها وموكب التأمين إلى أين ستذهبون؟.. «خدوني معكم، هم حوالي ثلاث أو خمس جنسيات معاً.. إنجليز وفرنسيين، وروسيين وألمان، أنا على أتم استعداد أن أعمل لديكم مترجمة، لعلني أخلص من إرهاق روحي، أعمل حتى ولو بدون أجر، فأنا أعلم ما لا تعلمونه باللغة العربية.. تشرب حتى ترتوي من الزجاجة مرة أخرى فتكتفي وتستدير.. يأتي أمامها المارة في اتجاهين ولا تعرف حتى لماذا استدارت، ما هذا؟ وما هذه الحركة الغريبة؟.. إمم إنه تأمين للأجانب ذوي «الباسبور الأحمر»، على يسارها بدلة بيضاء يرتديها صول، يحمل لاسلكي متهالك والصوت بداخله «متحشرج»:

- كله تمام عندك؟

- آه يا فندم.. هم وصلوا على الرصيف ناحية عربية درجة أولى يا باشا وعطينا زهرهم.

- طب خلي عينك عليهم.

- حاضر يا فندم.

وتعليمات أخرى ليقول...

- حاضر يا فندم!

ماكل هذا؟ مطاردات غرامية وأخرى بوليسية، بل وحوارات جانبية.. وصول قطار آخر من الجانب الأيمن وتلوث سمعي، يتخلله نقص أكسجين ثانية، دقت ساعة المحطة العتيقة وصوت المذيع، بداخل كل هذه الضوضاء تتمنى ألا يذيع، هذا الرجل لا يصلح أن يذيع هنا بجانبها.. صوته رديء لكنه يذيع، وصول قطار 912 على رصيف سيدى جابر المتجه الى آخر محطة بالإسكندرية ”محطة مصر“ بعد خمس دقائق يتسرب لها الملل.

تحاول أن تختفي داخل وجوه الوفد، والناس الغريبة عنها، وبائع الجرائد، وصاحب المجلات، المار أمامها بمجلات، الحقيقة أنها قرأت قبل ذلك حوالى ثلاث أو خمس مرات، وهو مصمم على بيعها للمارة بحجة التسالي، أما عامل البوفيه فهو يغسل العربة الآن «بجردل» ومنشفة لا أستطيع حتى أن أمسح بهما حذائى المكشوف صيفاً خوفاً أن يتحول من اللون الأبيض إلى الأسود.. ضوضاء يتخللها ملل يتخلله صمت!

يستند هو على عامود الرخام بوقار أمامها، رجل يبدو أربعينياً على الأكثر، يبدو هادئاً ولكن بداخله بركان، يحدق بها فتتظر له اللحظة... بل للحظات، ثم تدير وجهها على الفور حتى لا يأخذ النظرة عليها، أو يأخذ في الاعتبار، أن ما يحدث في هذه اللحظة هو إعجاب تجاهه ولا تعرف درجته أهو درجة أولى أم ثانية؟ على حسب التذكرة، لكنها مرهقة، وروحها مرهقة جداً، تشعر من داخلها أنها مزدحمة لأقصى حد

لما مرت به من أزمات في الأشهر الثلاثة الأخيرة، ونفس الفترة تسبقها ثلاثة أخرى، حتى آخر قطار ركبته منذ ثلاثة أشهر أيضًا، ولكن في ساعة مختلفة وتاريخ مختلف ووقت آخر، بل وشعور آخر، ثم فجأة!! ترفع كتفها الأثنين، كلغة جسدية متعجبة بداخلها من كل هذه الفترات أمام الجميع! في لقطة بريئة منها لا تقصد بها أن تشاغله فعلاً، وإذ بكل الناس أمامها تتحول لتماثيل شمع للحظة قدرية ويبقى فقط بالمشهد «هو وهي» يحدقان ببعضهما البعض، ثم يبدأ هو بالضحك وحده.. ما هذا الاستفزاز أيها التافه، الرشيق، الوسيم، الوقور؟.. ما هذا الجنون أيتها المتحررة، المهرقة، الحائرة؟.. وأي رياح أتت بك في هذه الليلة؟ من رطوبة لجو كهذا، وفي ليلة من ليالي الإسكندرية المارية الساخنة جدًا، وفي حركة فجائية منها كحواء لآدم، وبدون تفكير في مخيلتها ولا حتى حسابات..

- تذكرتك لو سمحت!!

- حضرتك يا فندم بتكلميني أنا صح؟

- أيوة يا فندم.. تذكرتك من فضلك.

يلتفت بارتباك..

- فيه حاجة حضرتك؟

- لا أبدًا.

- طيب حضرتك كنت بتكلمي نفسك من شوية!

- في تعجب من نفسها شديد..
- جازب بكلم نفسي.. فيه مانع؟
- على العموم أنا اتشرفت بيكوا جدًا على فكرة ههههههه.
- اتشرفت بيكوا...ازاى يعنى؟
- أيوة ما حضرتك جاية بجيشك؟
- جيشى!! آآآه.
- ترد بنصف ابتسامة، وروح مرهقة..
- معلى بتحصل عادى.
- ليسالها هو باهتمام..
- يا ترى ضغط شغل، ولا فركشة علاقة، ولا عباسية؟
- عباسية؟.. بيقى حضرتك قهراوى.. اسمها المعمورة بما إنى إسكندرانىة!
- المعمورة والمنتره أشهر أماكن فى إسكندرية.
- أشكر على المعلومة الحقيقة.
- ثم تقول بلهجة مختلفة:
- إحنا حنهزر هنا؟!.. تذكرتك.
- قالها بلهجة مختلفة..
- مش لطيفة أنتِ على فكرة خالص.
- يبدو أنه قالها بخوف!!
- لترد هي:

- شكرًا على فكرة.
- على العموم "المجانين" سيكون دمهم خفيف ومسالين عكس ما الناس فاكرة.
- لترد هي عليه متأنية.
- معلىش المرة الجاية.. ممكن تطلع التذكرة لو سمحت، الساعة ثمانية إلا تلت والقطر هيوصل ثمانية بإذن الله، فمفیش وقت.
- يخرج لها التذكرة بالفعل وفي سرعة البرق تقرأ الميعاد ورقم القطار و هي تشعر به وكأنها تراه يحدق بها ويحدق بتفاصيلها وبتسم، بل ويتسائل بداخله..
- حضرتك مش حاجة صح؟
- لا الحقيقة مالحققتش أحجز.
- طيب أحجزلك أنا بالتليفون.
- ليه يعنى بالتليفون؟ هو مين حضرتك؟
- لم يرد عليها، ثم يمسك بهاتفه فعلا ويتحدث..
- خلاص مفیش فايدة، مفیش حجز طيب أستاذك هعمل آخر محاولة إدينى خمس دقائق وهرجلك تانى.
- لا أبداً ما يصحش.
- ويبدأ هو بالجري، متظاهرة هي أنها لا تعيره اهتماماً!.. يتولد لديها شعور، وكأنها تعرفه جيداً، أو تعرفه منذ زمن.. هو لن يأتى... إنه فقط

حماس «الرجل الشرقي».. لكن بعد دقيقة واحدة تبدأ عينيها بالانشغال عليه... وثلاثة أسئلة تدور بداخلها.. متى ستنتهي الأحداث التي جعلتها مرهقه لهذا الحد؟.. ما الذي جعلها تصدر إيماءات أمام الغرباء؟.. وما الذي جعل عينيها تنشغل بها بل ويحرق بها؟.. هذا الرجل الشرقي... بعد ثانية واحدة اختفى، في زحام أفكارها، في زحام أيامها، في زحام إرهاقها، في زحام العمل، في زحام الدنيا، أم في زحام الذكريات.

ما الذي جعل هذا «الرجل الطفل»... يحرق بها ويلفت نظرها ويضحك على إيماءاتها وهو يتصبب عرقاً، في أسوأ يوم حر مر عليها في شهر فردي. منذ أن بدا الصيف، كان يحرق بها وخشت أن تحرق به، ويتحدثا ثم يختفي.. أهى الأقدار أم إنها مجرد صدفة؟! تسأل روحها مرة أخرى ما الذي يحدث؟ وفي خفة وسرعة ورشاقة يأتي الوقور من بعيد... هو لا يحمل حقيبة سفر، يرتدي ملابس رياضية، ولكنه في منتهى الأناقة... طويل، ذو ملامح ذكية جداً، ونظرة ثاقبة، يبدو هادئاً مبدئياً، وفي نفس الوقت خجول.. والأدهى عيناه عسلتان تشبه عين «مولانا العاشق» وسط كل ذلك عرق غزير يأتي به مجدداً، ليقول:

- للأسف شباك التذاكر قفل يا فندم فعلاً... فمافيش وقت.. هو إنتى بتبصيلي كده ليه؟

- أبداً لحاجتين ما فيش وقت دى كلمتي أنا!! لازمة عندي في كلامي واستغربت بصراحة كمان إنك رجعت.

- كنتِ فكراني مش راجع. صح ... بصراحة ااااه!!!
- أنتِ متصورة إني راجع علشانك، أنا رجعت عشان مسافر.. وضحك.
- ذوق أوى أنتِ بصراحة.
- وأنتِ واثقة من نفسك أوى، وأنتِ بتكلمى نفسك.. وبعدين تعالي
- هنا لما أنتِ واثقة إني مش راجع تاني، إدورقي ليه وبصيتي على السلم
- المتحرك اللى هنزل منه؟
- أهو حركات... فضحك.
- ومش أول مرة تتدوري.. فاكدة نفسك نقطة ارتكاز الأرض؟.. مش
- فاهمك.
- دا أنت متابع الحركات وراصد التصرفات.
- شخطيّ فيا وقلتيلى طلع التذكرة وأنا إيه طلعتها زي التلميذ بالظبط!!!
- ليه خفت مني؟
- لا خفت عليا.. عندي ولاد عاوز أربيهم.
- يقولها ويضحك...
- وأحاول أحجزلك وفي الآخر تقولي استغربت إنك رجعت!
- إيه دا؟ يا ساتر يا رب هما منعوا الناس إنهم ينقّسوا عن أنفسهم.
- لا بس ممكن أجيبلك البوليس على فكرة.
- طب حلو أوي الكلام دا كويس إنك رجعت تاني فرصة نضيفة
- يا نهاري دا أنتِ بايعة القضية!

سبق أن نوهت أنها «إسكندرانية» في بداية كلامهم، ولكن يبدو أن كلا منهما اختطف الآخر في الشعور، ومع كل ذلك كل منهما لا يريد أن يتعد عن الآخر.. صمتا لدقائق، يتأملان بعضهما البعض، لكن وصول القطار قطع هذا الصمت..

- هاتي إيدك بسرعة.. يالا مافيش وقت.

وفي دقيقة أخرى كانت يد «الصغيرة» في يد «الوقور» يختطفها ثانية.. شعرت باختلاف، شعرت بألفة، ثم بخوف!. لتسأله:

- أنت تعرفني؟

- لأ طبعًا.

- ولا أنا أعرفك.. أنت بتتصرف معايا كدا ليه؟.. أنت غريب على فكرة!

- مش أغرب منك على فكرة!

استخلصت يدها داخل القطار منه بأعجوبة، بالرغم أنها لا تريد حقًا ترك يده، وإلى أي مدى يتمسك هو بيديها، شعر وكأنها كانت غائبة عنه وعادت، أما هي فداخلها أسئلة كثيرة.. يبدو أن ثورة قلبها هدأت وجزء من نيرانها انطفأت.. لتتسائل بداخلها؟ أيعتبر تصرف أحقق منه؟ جائز! أم تصرف بديهي؟ جائز!.. أم أنه قدر اللقاء.. يأتي لهما في ثوب جديد؟ ولماذا يخيفها هذا الشعور المفاجئ ماذا تخشى؟.. هل تخشى الحب؟، هل تخشى الارتباط؟ هل تخشى كل ما هو جديد يطيح بها وتطيح به؟.. لكنها تستمع بداخلها لكلمات صديقتها التي

قالت لها قبل السفر بساعة.. «كم أنت متعبة يا حبيبتي وكم أن روحك مرهقة أيتها الصغيرة البريئة؟ كم أنت محتاجة لمن يحنو عليك، كم أنت محتاجة إلى من يحنو على قلبك المجهد، أو حتى يضع يده في يديك الصغيرتين لكي يحتويهما».. لماذا ما زال يحدق فيها هكذا؟ لماذا لفتت نظرة؟ لماذا لم يتشتت انتباهه عنها؟ وظل ينظر لها ولماذا لفت انتباهها المشتت بكل المقاييس؟ ولم الحزن؟ حقًا تريد أن تصمت كل هذه الجمل بداخلها ما سوف يكون يكون.

كان من الممكن ألا يعرض عليها من البداية محاولة أن يحجز لها مثلًا، وكان من الممكن أن يذهب ولا يأتي، ويركب عربته أيًا كانت و«تتوه الخطاوي» بينهما، ولكنه أصرَّ أن يكون معها وأن يبقى بجوارها.. يقول: - إحنا ما عندناش اختيار ثاني الحقيقة.. عندنا تذكرة وشخصين. - والمطلوب؟

- تقدرني تفضلي تقعدي طبعًا يا هانم وأنا هفضل واقف أحركك، أقصد أحرس سعادتك.

قالها بهدوء ليس مصطنع على الإطلاق... - لا طبعًا.. ما يصحش.

- عن نفسي مش هقعد أنا الراجل هنا.. هفضل واقفين إحنا الاتنين ونبيع التذكرة دي وناخد فلوسها نشرب بيها قهوة ومية معدنية مثلًا! ماذا يوجد في هذه العربة؟.. البوليس، المباحث، ووفد السائحين

المؤمن، والأهم التكيف كل من كان على رصيف القطار كان يحتاجه وبشدة.. الكل كاد أن يحتضر..

بعد مرور خمسة عشر دقيقة، جلست هي على المقعد مستسلمة، كان آخر مقعد بالعربة، ووضعت أرجلها ملتفة حول بعضها البعض ليظل هو واقف خلفها يحرسها كما قال ثم أطال هو النظر بها أكثر... لكنه ظل واقفًا وراءها بثبات..

- أنتِ اسمك إيه؟

- هقولك لما نوصل القاهرة.

- وأنتِ اسمك إيه؟

- هقولك بعد ما نشرب قهوة.

- على فكرة.. قلبك طيب أوي.. على كل اللي بتعمله دا.

قالها وهو يحاول أن يطمئننها تجاهه...

- و دا عرفته من فوق الكرسي؟

- أول حاجة أنا مابفضلش الصوت العالي.. وما بحبش العند كمان.. دا

غير إني ما بحبش حد يهزر وأنا بتكلم جد.

- حصلنا الرعب يا سيدي على روحك مش عليا.

- اللي هقوله دا مش هقوله تاني، أنا مسافر في القطر ودي صدفة عمري

حقيقي علشان أقابلك! أنتِ بس.. واللى أقوله يتقالي حاضر من فضلك.

كل ذلك تستمع إليه وهى جالسة على الكرسي متعجبة من أمره

لكنها لا ترد عليه بالفعل.

- عاوز أشرب قهوة...تبتسم..

- ولا مستعجل تعرف إسمي؟

يمسك رأسها بيديه الاثنين ويقبل رأسها وسط دهشتها ليقول:

- بصراحة قلبتي دماغي.. وكأني.. مش عارف هتصدقيني ولا لأ؟ «كأني

غايب عني شئ وردلي»

صدقته هي من داخلها بالفعل لكنها لم تصرح بذلك.. ثم سار بهم
القطار متجهًا في طريقه وبسرعته، حاسمًا كل منهم أمره مبدئيًا بداخله،
آخر كلمة سمعناها بداخلها، «ماسوف يكون يكون، أنا لا أخاف شيئًا»،
أما آخر كلمة سمعناها بداخله.. أنا مش مصدق لحد دلوقتي من جوايا
إني لقيتها خطفتني من ساعة ما عيني وقعت عليها...

عانيقيني

يأخذها الحنين وتناديها الذكريات، تسافر خلف هذا الشعور، لا تعرف خوفاً منه أم طمعاً فيه!.. تبتلع ريقها فتجد طعم اليوم مختلفاً، ممتزجاً بفرح حزين! بوحشة لأيام فاتت وشهور غابت وسنين أخرى قد مضت.

يناديها الشجن فتلبي، تحاكيها ذكرياتها مرة أخرى... تطاردها أحلامها، مازالت ترى بيتها القديم في أحلامها، وكأنه هو الوحيد المسكن، والمأمن، إن إرتباطها بهذا البيت العتيق وثيقاً يستقر في أعماقها، يفيض على أوصالها بل يحاورها.

ترتدى ملابسها، تقرر أن تذهب إلى البيت الذي قضت به أكثر من نصف عمرها الحالي.. طفولتها، شبابها، حكاياتها.. وكأنه يناديها بصوت خافت، لا أحد يستطيع سماعه غيرها! ولا أحد يستقبل إرساله، أو حتى يفك شفراته، ويحتفظ بأسراره.

تصل إلى شارعها القديم، تغنى ذاكرتها بهذا المقطع «الفجر بيلقي المغرب، وبييجي ويروح والليل يطل على الشارع شباك مفتوح، هنا الرصيف وهنا السلم وهناك ياسطوح متعلقة كمام النونو في ديل فستان».

تتشمم من على بعد رائحة بيتها يملكها الحنين، تدمع عينها، تتجمد أوصالها، تتأني بخطاويها، تلقى نظرة على اليمين واليسار وتواصل

السير، حتى الرصيف تسلم عليه طالبة من قلبها الثبات، لا أحد بالشارع الآن، تشعر بسكون الليل ولكنها لا تشعر بخوف.. لتتسائل بداخلها أين ذهب زخم الحياة هنا، وهناك...إن السكون هنا يعزف منفردًا مثلها تمامًا، بل يخيم عليها الهدوء.

«إنها ليلة خريفية» قصيرة في نهارها يطول ليلها، ها هي وصلت أمام البيت، تحديدًا لا أحد بجانبها عدا حارس «الكنيسة الإنجيلية» بجوار البيت، وضوء عامود الإنارة الخافت بالشارع ليلاً.

تنظر إلى صديقتها «الشجرة» ليقل قلبها بأسى «وحشيتني»... صديقتها التي طالما ضللت عليها وداعبت شباك غرفتها بأغصانها، الآن لا تملك إلا محادثتها من بعيد، تستند على عربة قديمة أمام المنزل وتخرج ورقة وقلمًا.

«تمسح دموعها في عجالة كي لا تعطل سطور الرسالة لتغوص بداخل الشجرة وتخط إلينا»!!!

« سامحيني... لم أستطع أن أعير الخريف إبتسامتي، لكنك كنتي أكثر منى سخائًا، فأهديتيني بعض من أوراقك المتساقطة، «شجرتي» بعدما كنت يافعة فتانة،أصبحتي أقل جرأة بكثير عما كنت عليه أو بمعنى آخر جبانة.. ربما تبدو...عليك علامات، أو خطوط،أو حتى تجاعيد، ولم أكن الحظ عليك ذلك من قبل، كانت تكسوك أوراقك بمنتهى السعادة، أما ربيعك كان خلابًا مبهراً ساحرًا يأخذك إلى هنا، ويأخذك إلى هناك بل

يأخذك إلى أبعد مكان ويسافر.. جريئًا، مقدامًا، مثابرًا، مستيقظًا، داخل أوراقها أو حتى داخل وريقاتها التي كنت دومًا أتابع نموها بمنتهى السعادة.. ماذا عنك أنتِ يا صغيرتي؟ بعدما تساقط ورقك واحدة تلو الأخرى أمام عينيك، تخطو عليه الأرجل، في حركات عشوائية، لا إرادية لن تستطيعي وحدك منعها فالخطوات في حركة وعجلة.

تشابهه مع عجلة الزمن «حبيبتى» حاولي أن تسترخي بفروعك، ولا تكوني أبدًا متأهبة، فإن عاجلاً أم آجلاً ستشدد عليك الرياح، وأنا حقًا أخشي عليك، فحافظي على جذورك بالثبات وإياك أن تستجبي لإقتلاعك أو تستسلمي، مهما كلفك الأمر من فقد بعض من أوراقك أو حتى أغصانك، بل إبقى بمكانك حتى لو تساقطت أحلامك مع وريقاتك، فضاعت، وتناثرت، أو حتى ذبلت أغصانك.

«تذكري» لطالما سهرنا وحكيًا، أو حتى غيناها وها قد بكينا... إحتضني المارة كما عودتهم، بل ضللي عليهم بظلالك، وإياك أن تثوري أو تغضبي بل إنفذي عنك كل الجفاف ولا تبالِي... ولا تخجلي أن تسألي عني ولا تخجلي أن تقولي حتى كيف حالي؟

أتستعدين الآن لانهمار مياه الشتاء، فلتستعدي لي ولك، ولا تنسي أن تبوحي لي عن سر لونك المفضل! بعد الأخضر كي أحضر لك شال يكسيك من التعرّى ولا يقسو عليك أبدًا من برد الشتاء الأولى.

كوني شامخة «محبوبتي»، وانظري إلى السماء، ولا تترهلي، بل

ابتهلي وتضرعي وسبّحي! إني أعرف جيدًا ما هو حالك الآن؟ يفوق عليك النخيل عاليًا صامدًا.. ممشوقًا، يكسوه الإحمرار مزهوًّا، ساحرًا، والإصفرار الباهي، بل أحيانًا ما طاب من الأسود.

«حبيتي» تأتي ولا تتعجلي.. فمهما طالت المدة، سيأتي عليك ربيعك في أروع وأبهى الصور، برقة الفراشات وبألوانها المبهجة، وجمال الأزهار الخلاب، ودفئ أشعة شمسك الوهاجة.

وما بين «الوعد والعهد».. كم عاهدتيني وانتظرتك، وكم تباعدت الخطى وضمت، وها أنا أعدك أن أهديك كل ابتسامتي، فتعيريني، وتمدين، بألوانك المبهجة المدخرة، أو حتى تهديني بجزء من إبتهالاتك يا صديقتي كم أشتاق إلى أن تشاركوني.. إن ألوانك المبهجة جمالًا يزيدني جمالك.. على أن تطلقني سراح أغصانك وأوراقك وستأتي حيويتك.. ها هي تبكي ثانية...!!...وتبكي شجرتها معها...!!

أعيريني، أحبيني، انتظريني، بل الآن امتلكيني بداخلك.. لألقي نظرة أخيرة عن ما يدور بداخلك، لربما أرى في جذورك أصولي وجذوري، لربما أجد لى سماءًا وطيورًا، لربما أجد بلبلاً مسطورًا، لربما أجد حياة ما وراء الحياة...!! لربما ألتقي أحلامي حلمًا تلو الآخر وعن حكاياتي لاتبوحني، وسطوري، وذاكرات سنيني فهل لكى أن «تحتويني»؟

وهل لى عليك أن أطلب «بعشم» مسبوق أو عشمًا غير مسبوقًا...
من فضلك يا صغيرتي...

أخفيني، وعن العيون صونيني، وعن كل هذه الوعود حثيني، وإذا
تناسيت ذكريني، بل على كل العهود أبقيني، ما بال صمتك! حدثيني،
عن كل ما مضى وما أشعر به الآن، فإذا تساقطت علينا الأمطار أحبيني،
اغتسلي بي، ومشطيني، بل «عانقيني» ولكن لا تودعينني...

الدرج

بعد ابتسامة عريضة جميلة بداخلها شغف من صديقتها اللبنانية، التي تصل للتو إلى بيتها في ضيافتها بالإسكندرية، لتنظر إلى ما بعد الباب وتتأخر متعمدة، في إدخال حقائبها البسيطة، هي تختلف كل الاختلاف عن المصرية، الجوزائية، المتألقة، وهذا لا يمنع أبدًا أن اللبنانية متميزة جدًا بل متألفة...

«سنة» «رسامة» أي صاحبة ريشة، وصاحبة قلم معبر أيضًا ريشتها خرافية طبيعية، غير مبتذلة على الإطلاق، بل وألوانها تشع حياة وبهجة مؤنسة وأمل وما أجمله أمل.. وما أجملها حياة داخل لوحاتها، ودخلها فعندما تقرر أن تسرد لنا بعض السطور المختزلة بداخلها، في كلمات حين تقرأها تتسمر ولا تعرف إلى أين تذهب؟...

«سنة» لبنانية الأصل، ولكنها تعيش في ألمانيا بلد الصناعة الأولى في أوروبا، لم تسألها حتى الآن عن أسباب العيش في ألمانيا والجوزائية لا تبالي.

هنالك أشياء أكثر أهمية وشغف بالنسبة لهما معًا هما الاثنين وخصوصًا أن عمر الصداقة بينهم ليس كبير هي سنة واحدة، بها ثلاث أشهر على شبكة التواصل الاجتماعي، ثم تطور الأمر إلى حضور «لي لي» معرض صديقتها في «برلين» هذه الرسامة، الساحرة، المثقفة، الخجولة، الرقيقة الأنيفة، كما تناديهَا دومًا.

الطيبة، الدافئة، ذات الروح التي تتشابه مع الطبيعة الخلابة الحقيقية، وليس على لوحاتها إلا الشغف والفن، الجمال، بجانب الإحساس المرهف، فالرهف هنا يستحوذ عليك، ينتشلك، يسافر بك بعيداً أو يجعلك محلقاً في سماء الفنون... ويرتسم قوس قزح بداخلك أنت لكن بريشتها هي.. فتصبح فجأة طفلاً، بريئاً، ناطراً، ماذا ستعطيك من إلهام، من أفكار تقبل عليك بهدوء.. أما «لي لي» فقالت بسرعة كلماتها ورشاقتها المعتادة وتفاصيل وجهها المريح:

- اتفضلي يا «سونسون».. أنتِ حبيبتي واقفة متسمة كذا ليه؟

- يا الله شو حلو... كل هاى الصور ل «علي»؟

- أها...طولة العمر ليك حبيبتي.

- وشو مهضوم والله الذوق لتبعك بالبيت يا حبيبة.

كانت «لي لي» تستمع إلى مجموعة أغان فيروزات تحديداً أغنية، «بعدك على بالي يا قمر الحلوين».. لتسألها «سنا»...

- «لي لي» بتعرفي الاسم الحقيقي «لست فيروز»؟

طبعا... شو؟ «ألست نهاد الحداد».

- صح برافو عليك شطورة أنتِ.

- أنا بسمع فيروز من وأنا طفلة وبعشقها، فيروز عندكم زى الست أم كلثوم عندنا كذا يا «سونسون».

- صح ومين عنا مشهور مثله مثل «فيروز»؟

- الأستاذ «وديع الصافي» طبعًا وبحب له «عظيمة يا مصر».
- لا أنتِ مذاكرة كويس يا «لي لي».
- أنا بحب الفنون جدًا يا «سونسون».
- تلاحظ «لي لي» أن «سونسون» مازالت واقفة وتتأمل!
- اتفضلي يا حبيبتي وحمد الله على سلامتك، نورتيني حقيقي، ونورتي إسكندرية الماريا ونورتي بيت «علي».
- تكرم عينك.. حبيبتي كلك ذوق.
- تحبى نبدأ بإيه يا «سونسونتي»؟
- نبدأ من ما بدك نبدأ إياه حياتو.. أنا عن نفسي ضبيت أغراضي وأخذت طيارتي وجيت ع ملا وشي زى ما بيقولوا عنكم بمصر.
- تشعر «لي لي» بداخلها بسعادة غامرة للقاء سونسون التي لا تصدقه حتى الآن، وعن طريقة حديثها وما تشعر به من طاقة بداخل هذه الرقيقة الأنيقة.
- قهوتك إيه يا «سونسونتي»؟
- مثل ما بيحبا «علي»!!!
- في ابتسامة عريضة وحنين أعرض، ممتزج بفرحة لقاء «سونسون»
- «لي لي» تصنع القهوة لها هى مجنونة قهوة. بل شهرتها في كافيهات معينة وأصدقائها «لي لي مانو» كما إنها تحب اسم «مانو» اسم لأول كلب هدية من أبيها وهى طفلة وهو إسم إيطالي الأصل كان يفضلته

«علي».

- «علي» يا «سنا» كان يبشر بها مضبوط.

- تعرفي كل شئ هنا مضبوط مثل اللوحة دي مثلاً.

- أي لوحة «سنا»؟ تقصديها!!

- هاااي.

- آه دي يا ستي صديقي القبطان رسمهالي وهاداني بيها في عيد ميلادي

- غريبة! شافك بلا حجاب؟

- الحقيقة لا.. ما وراء خيال الفنان يا ستي تخيل الملامح والشعر وأنا إيه

مثلاً أصغر من كذا بعشرين سنة!!!..

- لكن تشبهلك جداً فعلاً دي رؤية كاملة بفنه هو.

- بتبقلك النغاشة «لي لي».

- والله ما حدا نغوش هنا إلا «سونسونتي» وبعدين بيلبلي ونغاشة أنا

عاوزة كورس لبناني ويا ريت لو ألماني يا سونسون «لو سمحتي..» بنحتاج

مصارى!!

- فهمتيني غلط دا على حسابك «سونسون».

- ولوووو هههههههه.

- اتفضلي يا «سونسون» قهوتك.

- تكرمي.

- الغدا سمك ومخصوص، ترحيب يعني إحنا عندنا كام «سونسون»

ومش معقول تكوني في إسكندرية وما تاكليش سمك.

- بدى أسال سؤال؟

- اتفضلي طبعًا.

- ليه بتعصبي لما حدا بيقولك درجة وهيك؟

- أيوه فعلاً.

- لهال الاد؟

- أنا يا ستي الشهر اللى فات طلعت نفسي معاش مبكر!!

- لا لا

كادت أن تلفظ «سنا» رشفة القهوة الثانية..

- عن جد مصر بتعمل بولادها هيك!!!

للا ههههههه أنا اللى أخذت القرار دا.

- And so ؟

- And so what ؟.. حشتغل يا ستي أى شئ تحت عنوان «فنون» أطلع

بيه «الدرج» علشان الدرجة دى وقفت عائق فى كل حياق التنسيق،

معهد الطيران الخاص، آداب إنجليش، تقدير درجة فى الإمتياز نزل لجيد

جدًا فى أول سنة جامعة كل حلم بينى وبينه درجة.

- اممم يعني عنا «علي» «فنون».

- درج.

قالتها «سونسون» بطريقتها الجميلة.

- بالظبط كدا أتمنى أحقق أمل «علي» فيا يا «سونسون».

شو حلو الحنين، شو حلوة الفنون، شو حلو لنطلع «الدرج» بعلى وبالمصادفة تبدأ أغنية «عودك رنان» رنة عودك يا على.. تسمع «لي لي» و«سونسون» بالأغنية ويتخيلا سويا «الدرج» ويشردان ويصمتان، بل يذوبان في نسيج متجانس.. كلاهما طاقتان، لا يستهان بهما أبداً لكن «سونسون» تسبقها في غناها مع فيروز وعالها ...

أما «لي لي» فيتخللها لحظة سكون على شجن، لكن لابد أن تقطع الصمت بداخلها ولا تنساق للشجن...

- تعرفي يا «سونسون» لحد دلوقتي دا بيلبلي لكن بعدين مش عارفة هيكون فيه إيه .. الله كبير يا «لي لي».

تنظر «سونسون» لها بصمت، وحزن ممزوج بإعجاب شديد، بل تنظر لها بولع، ناتج عن كم الأفكار المتطايرة منها بالهواء كفقاقيع الصابون الطفولية...

تخرج من هذه الفتاة أفكار كالطاقة الشمسية التي لا تنشط أبداً إلا ليلاً ومع رابطة شعرها البنية وشعرها البني وخصلاته الكيرلي الذي لا يبدو جمالة الأولى على الإطلاق ولكنه، يصرخ، يتمرد، يعترض بل يعبر أحياناً.. سؤال على غفلة من «سونسون»!!

- أنتِ خريجة أي جامعة «لي لي»؟

- أنا بالأساس، لم تكمل «لي لي» كلماتها حتى قالت فيروز مرة أخرى

كيفك أنت؟ مالا أنت وبحبك في الأساس... لترد "سنا" يا الله شو مهضوم الجو لتبعك لوحات، حب، حنين ل "علي"، قهوة، كل ذلك ممزوج مع الفيروزات هون.

- أي خدمة حياتي...أنا يا «سونسون» إتخرجت من kinder Garten بستان من كل مادة.

تطلق ضحكة «سونسون» وعيونها تلمع..

- وهأى إيه علاقته بالعلاقات العامة؟

- وفنون التسويق...لا لا دا مش موضوعنا خالص دلوقتى أوك، كملي... فكنت بتمنى إنى أكون «صحفية»، «كاتبة»، «مرشدة سياحية»، «مذيعة»...

*يحدث الآن...

كادت العناوين أن تصدمها، ولكنها تؤمن بها تصدقها بداخلها، تحبها ولا تعرف السبب! تغوص فى أعماقها وترتفع لتأخذ نفساً ليس كبيراً لتغوص بداخلها مرة أخرى.. هى بالواقع تعجب بشخصيتها، بل تشعر بداخلها أنها علبة ألوان طينية غريبة وجديدة عليها.. لكنها تستوعبها، تحتويها، تضمها بريشاتها الهادئة، دون أن تشعرها، هكذا خلقوا الفنانين، المبدعين، لا ينظرون للأمور ولا للأسباب ولا حتى القلوب، ولا الشخصيات كما ينظر لها الشخص العادى التقليدى، الراكد تنظر لها وتقول «سونسون» بعينيها.

«هاتى ما عندك، هذا هو الوقت المناسب لعرض الأفكار، أخرجى من داخلك الصندوق كله ولا تبقي شيئاً، أخرجيه بحرية كاملة، استرسلى، اصرخى، عبّري أو حتى تمردى، إنا بداخل جدران ولكن كل منا حر طليق، قطعى أكياس الرمال من أرجلك بخفة، بل وأطحي بها بعرض الحائط حتى لو كانت المساحة الآن غير مناسبة للطيران، لكنها لن تبقى كذلك» أما أنا سأفعل معك ذلك وأكثر من ذلك...»

وفي أقل من الومضة كانت «لي لي» تستخرج شمعتين برائحة الفل الهندي لتشعلهم بولاعة طويلة عتيقة، وتدوس بخفة حركاتها على ريشة الجرامافون الذى ورثته من جدتها لتهدئ فيروز وطء هذه اللحظة فى قصيدة «سكن الليل» وفي ثوب السكون تختبئ الأحلام وسع البدر وللبدر عيون.. ولكن «سونسون» لا تنتظر للدقيقة التى تلي هذا المشهد الساحر البرئ الحالم.. فبمنتهى السلاسة والخفة، تسحب حقيبتها وتخرج هي الأخرى منها ريشاتها وألوانها، على الأنغام الأنيقة للحنين بروعة لا تقل جمالاً عن ما فعلته «لي لي»..

ماذا يحدث هنا؟

يحدث هنا الكثير!! «إنه مشهد يتبلور ولوحة تبدأ فى هدوء يحتليه صراخ «تصرخه» الألوان أهم يرقصون، يتناغمون، يضحكون، يتمردون سويًا على الحاضر والماضي، أم أنهم فقط يعبرون عن ما بداخلهم فى مشهد خرافي لا تستطيع «سونسون» إهدار حقه الفني وكأنها تعلن للتو

- عن لحظة ميلاد فن جديد.. تسألها "لي لي":
- هتعملي إيه؟
 - حرسمك.
 - وإحنا بنسمع فيروز؟
 - وإحنا بنسمع حتى دقات قلوبنا.
 - بتتكلمي جد؟
 - طبعاً لها الأدد.. اتعاملي بطبيعتك حياتي إذا بتريدي.
- الكل هنا يبدع سواء "سنا" أو "فيروز" أو حتى "لي لي" لكن
بطلة المشهد الحقيقية هنا "سنا" كانت بمثابة، قمر الحلوين كما قالت
فيروز..
- تفتكري اللوحة دي هتسميها ايه؟
 - هيدا بداية «معرض» حبيبتى حعمله بالإسكندرية وأنتِ السبب
فيه!!! وبتخط فيه "مثل ما بدك وبقلملك الحر" وتعبري عن حالات
اللوحات... ومن مكاني هاى، اسمحيلي تكويني العنصر التفاعلي للمعرض
وحيكون على مسرح كبير وحياة "على".
 - بس الكلام دا ما سمعتش عنه قبل كدا!!! أو ما اتنفذش أقصد؟
 - قالتها «لي لي»، وكادت الدمعة من الفرحة تقفز على وجه «سنا»:
 - كلام حقيقى.. «حبيبتى اللي سبق شم الحبا».
 - بتقصدى اللي سبق أكل النبق.

- المعنى واحد حبيبتى. بياكل، بيشم، بيتذوق، كلون بالأخر حواس والفنون سرها الأول والأخير مكمون بالحواس.
- شوفتى يا "سونسون" أدينا طلعلنا مدرسة واحدة وحس واحد وكل حاجة حلوة كمان.
- واسم المعرض «سنا» هيكون إيه؟
- اسم المعرض هيكون على اسم البابا لتبعك... «علي».
- صمتت.. وتفاجأت "لي لي" حقًا وكاد قلبها أن ينخلع من السعادة ومن خصوصية الموقف، فسالت دموعها.. لتقول "سونسون"
- اكتبى عندك يالا.. لا تعطيلنا.
- أكتب ايه؟
- هيدا أول درجة بنخطيها سوا «بالدرج».

منعم و وديدة

صوته متحشرج منذ طفولته، وحتى نعومة أظافره، بل وسعاله المتواصل صباحًا.. هذا حال كل ليلة إثر الدخان، وكنوس الخمر المبعثرة بالخارج، وأحيانًا الزجاجات التي تفرغ ليلاً ويأتي بجديد حين يغلق محل العطارة الذي ورثه عن والده الحاج "صالح" الذي كان صالحًا بالفعل رحمة الله على أبيه، كان مشهورًا بالمنشية وتحديدًا سوق الميدان، بعدما توفي، لم يجد "منعم" مخرجًا إلا أن يقف في محل المرحوم لأنه الوريث الوحيد أما "وجيدة" لم تنجب غيره بالفعل، لم يمت الحاج "صالح" راضٍ أبدًا عن ولده الوحيد، وبالرغم من جمال "وجيدة" الصارخ، وأصولها التركية واليونانية معًا، بل وطيبة قلبها المبالغ فيها... تزوجت الحاج "صالح" حين أتت هي وعائلتها من الشرقية، بحثًا مع أبيها عن شقة للمصيف بالإسكندرية هروبًا من حرارة الجو وشمس الشرقية لمدة أسبوعين، كان هذا البيت في منطقة بحري يملكه "صالح" ومحلات العطارة رآها أحبها وانبهر بجمالها وضعف قليلًا حيال طيبتها، وفي خلال عشر أيام كان "صالح" من نصيب "وجيدة" بالفعل.

"صالح" يحبها حبًا جمًّا، بل ويحسد نفسه كل يوم علي جمالها ودلالها ويعشق طيبة قلبها... أنجبها "منعم" وما أدراك ما "منعم"!

في دعوة من الحاج "صالح" ألا يرزقه الله بالبنات من "وجيدة"! حتي لا يأخذ جمال والدتهم ولا يستطيع العمل حينذاك خوفًا علي

بناته، أفكار واهية وواقع صعب... واستسلام تام من هذه الجميلة الطيبة حد السذاجة..

”منعم“ الذي لا ”يفوت“ من الباب من ضخامته إلا إذا انحنى قليلاً، يحمل أكياساً من الفاكهة و ”المزة“ الغالية الفخمة في ذلك الوقت بيده اليمني وفي اليسار زجاجة كل ليلة.

هو جميل بالفعل حد الإبهار، ولكن أخلاقه لا توازي كل هذا.. نتاج الحاج ”صالح“ الذي كلما رأوه وجدوا السبحة الجديدة في يده من الحجاز، مكتوب عليها التاريخ، أما ”وجيدة“ بجمالها لم يرث من والدته سوى الجمال ولم يمس الطيبة ولا الصلاح على الإطلاق، فبعد أن حصل على الابتدائية في الثمانينات رفض -هذا الجميل- أن يكمل تعليمه ورفض حتى أن يساعد والده في محلات العطارة التي أصبحت تغزو الإسكندرية ومناطقها، بل اتخذ عملاً مهيناً مشيناً له و لوالده قرر ”منعم“ أن يكون بلطجي صغير يأخذ إتاوة من كل من هب ودب في المنطقة والمناطق المجاورة وحين توفت ”وجيدة“ كان ”منعم“ أحد الأسباب الرئيسية، هذا الشاب الوحيد الذي تحير فيه كل العائلة والجيران وحتى المعارف، وحتى التجار.. وفي آخر سنتين كانت عينا ”وجيدة“ جاحظتين بعدما كانت عيناها واسعة من كثرة البكاء علي ما تراه من ”منعم“ ولا تستطيع تغييره وعلى ما وصل له ابنها الوحيد من حال... لقد فعلت كل ما في وسعها لتغييره، وتذكر بمنتهي الأسى حين

قال لها الشيخ «اذهبي به إلى «الحسين» وادعي له هناك، بل واطلبي له رقية لعله محسود، على جماله، ووحدته أو غنى والده وتقواه»
إنها لا تستطيع نسيان هذا اليوم قطعاً بعدما قالت له «افرح يا «منعم» حركب القطر عندنا زيارة حننزل فيها مصر أنا وأنت» لمعت عينا «منعم»... اتخذها مغامرة جديدة.. «لكن على شرط أن تستحم أنا لا أستطيع رؤية لون أرجلك الحقيقي الأبيض من كثرة الخرابيش والأتربة والطين العالق فلن يوافق الناس علي ركوبك القطار».. هكذا رضخ منعم ليستحم.. الليلة عيد عند «وجيدة» سترى لون بشرة ابنها الوحيد الحقيقية ولو ليوم واحد أو ليومين بالأكثر... ولما سافرا سويا في القطار بعد عشرة دقائق من جلوسه على المقعد بالأكثر ربع ساعة كالمحترمين غفلت «وجيدة» ولكنها تتذكر جيداً عندما فتحت عيناها لم تجده بجانبها.

وبعد انقلاب القطار رأساً علي عقب، وبعدما صرخت وبكت وبحثت هي والقطار بأكمله عنه وجده «العطاشجي» فوق سطح القطار واضعاً رجل علي رجل بمنتهي الصمت والثبات كأنه متمرس بل وجده صدفة، وكأن سطح القطار سريره الخاص يشعر فيه بمنتهى الاطمئنان والحرية، بل يستنكر كل من ينادي عليه أو يطلب منه أن ينزل.. فأحيانا يضحك! أو يتلفظ بما لذ وطاب! وأحيانا ينظر لهم فقط، وحين وصل القطار إلى القاهرة لم تغادر وجيدة القطار خوفاً من شتاته وجنونه وخوفاً من

ضياح هذا المخبول! إنه ملكها الوحيد وما بقي لها من حطام إصابتها بمرض القطط الذي أعاقها عن الإنجاب مرة أخرى سواء بولد آخر أو حتى بنت، بل استسلمت المسكينة، وكفيها مطاردة البوليس له أو حتى يأتي ليتفقده.. وكفاها مشاكل وكفى أبيه الصالح شر القتال، بل استعوضت الله فيما كان، وما سوف يكون.. أحياناً تنظر له وتشرد وأحياناً تبكي وتبكي.. طيبتها تمنعها أن تدعو على هذا الشقاء المتجسد في ولد وحيد، فدموعها أصبحت رأس مالها ذبلت حتي الموت وما صنعه ”منعم“ في أيامها مجلدات ملأت قلبها وعقلها وكان آخر همها وأكبر تصوراتها.. فأصبحت شاردة زاهدة.

يتذكر ”منعم“ حين بلغ، فكَرَّ أبيه على الفور أن يزوجه ولكن ”منعم“ دائماً يأتي لنا بالإبهارات، كان يهوى الراقصات درجة خمسة أصحاب الضحكات الرقيقة وعناوين البنسيونات الرديئة ولابد وأن تكون سمراء لا يطيقها أحد وياحبذا لو كانت بربرية، هذه هي مواصفات «فينوس» بالنسبة لمنعم «أن تكون بكلونيا وقلم روج أحمر صارخ متهاك، لا يليق علي بشرتها أبداً، فهو غريب الأطوار، بل متطرف حتى انحرافه متطرف» ويروي لنا خياله أنه أحب مرة واحدة في شبابه.. فتاة سمراء خادمة كانت تخدم عائلة صديق والده القاطن أمام منزلهم، وكان لا يطيق أن يمر الهواء يجوارها إلى أن غازلها صبي القهوة وهي تشتري الطلبات لحظة دخوله الشارع ليري هذا بعينه، فيجد الصبي يقول

لها رايحة فين يا "شوقلاطة".. أحس "منعم" أن عرضه تعرّض لإهانة
وبلهجة مليئة بحدة وزعق زعقة ارتجت لها جدران البيوت:
- روحي يا «سمرا» وقولي لأبوك في النوبة "منعم" حيزوركم هو وأبوه
يخطبك.

- بتتكلم جد يا سيدي منعم؟
- روحي يا بت ومفیش خدمة في البيوت تاني وأنا كفاءة أجيبلك أمه
وأخته يخدموك وأستتك.

كان يقصد بالطبع أم وأخت الصبي القهوجي الذي غازلها.. ولم يكن
ما حدث تاريخيًا، بل كانت واقعة حكى عنها كل من رآها وكل من لم
يرها.

استدرج "منعم" الشاب إلى سوق الميدان بالمنشية ووقف في
المنتصف على مرأى ومسمع من الجميع، وبدأ يرفع صوته تدريجيًا
ليبدأ الجميع في الانتباه، وفي نفس اللحظة بدأ يسحب ميزانًا لسيدة
تجلس في الأرض فلاحه بسيطة..

- سمراااااا... شاغلني هواها ولا قولتلكوش والعرة إلى ما يسوى ال
إيه استجرى وقالها أبصر شوقلاطة وقلة أدب وخشا وحيّا انعدمو في
الشارع.

- جرى إيه يا معلم «منعم» دي حتة خدامة لا راحت ولا جت.
- ما هو اللي يعاكس خدامة يعاكس أمي.

حينها غاب عقله، هم يهينون حبيبته، ففلق الميزان علي ركبته إلى نصفين بمنتهي السلاسة وأدار الضرب يمينًا وشمالًا في كل من هو بشارب أو بدون.. يحمل الفلقتين للميزان الحديدي ويضرب بهم ويطيح بهم دون عقل ودون قلب دون حتى أدنى مسئولية.

في اندهاش ورعب جماعي، حدّث ولا حرج ضحايا يمينًا ويسارًا، بل انقلب السوق إلى دعر وصراخ ودماء خلال خمس دقائق، كان «منعم» قد أسقط ثلاثين رجلًا وحده... لم يشعر «منعم» بما فعله إلا في غرفة الجراحة العامة بمستشفى الميري وبجانبه كل الأطباء من يعرف بخياطة الغرز ومن لا يعرف يحاول لم القطعيات التي أحدثها هذا الأشقر، الأبيض، الوسيم، المجنون، وحده وهو يحب «سمر».

إن صبي الميكانيكي الغريب عن المنطقة، والغريب عن المدينة بأكملها.. الشاب الصعيدي هو من ضربه بالحديدة على رأسه ومن الخلف دون إذن من معلمه ومنتهي «الغشم» ليسقط على الأرض... يصرخ معلمه فيه..

- ماذا فعلت أيها المجنون «منعم» لن يكفيه فينا أحد.. هذا آخر يوم لك بالعمل عندي وإذا لم تسافر اليوم ستدفن.

- واه جبر يلمه نفر فاير.. كيف يعني يوجع ثلاثين رادل ويكسر للوليه ميزان ونسيبه.. الأرزاج بالله واه بلا جرف.

- يا جدع اسكت أنت مش فاهم حاجة.. الميزان والخساير دي كلها

حتتدفع وتتلّم من أبوه الحاج "صالح" والرجالة دي كلها حتتخيط
وحتتعوّض إنّما ظهر "منعم" دا مش حيرضيه فينا حد فهمت؟ لكن
بردو مالکش عيش عندي.

- يا بوي لا عينديك ولا عند غيرك خير تعمل شر تلجى.

- خد حسابك وتوكل على الله.

- هاته يا ولد عمي!!!

في المستشفى... يضحك الدكتور المعالج "لمنعم" وهو يقول:

- شعرك الأصفر ده مالي الأرض بعد ما حلقوه علشان أخيطلك الجرح،
بيقولولي برا كل دا بسبب...

لم يستطع النطق ولا حتى تكلمة الجملة حين أمسك "منعم"
معصمه وقال بصوت متحشرج:

- شايف الإبرة دى؟

رد الدكتور وهو يشعر بأن كماشة حديدية أمسكت معصمه..

- اه شايفها ماتكلمش.. أنا بهزر بس بحاول أسمع منك حتي "اه
للعشرين غرزة التي رفضت تمامًا تأخذ فيها بنج وأنا بخيطلك الجرح"
- منعم ميقولش اه حتي لو ييموت.. اسمع ما تتكلمش معايا ولا
حتى تكثر، روح هاتلي سوجارتين.

- نعم!

- إية ما بتسمعش؟

- حاضر لكن السجاير هنا مم.....!!!
- كلمة كمان... «هدده منع»
- وعلى إيه؟.. عندي دكتور زميلي بيدخن عالسطوح في أوقات الراحة بالليل هطلع أشوفلك؟
- لا هتيجي ومعاك السوجارتين...!!!
- حاضر.. إيدى سيها علشان أتحرك... اه.
- وجعتك؟!
- أيوة يا عم العملاق وجعتني.
- طب إخلص.
- حالاً.
- وفعلاً اضطر الطبيب أن يحضر السجارتين و”منعم” يدخن بالفعل، واحدة أمام الجميع وهو يستكمل الغرز والأخرى وضعها فوق أذنه وإذ بالطبيب يصمت، ويستكمل الغرز وبعد ذلك يحاول تغطية الجرح فيقف ”منعم“.. ويهم بالرحيل أما دهشة الطبيب!
- «منعم» ميدخلش المنطقة أو الشارع وجرحه متغطي بشاش أبداً.
- بس... لا بس ولا ما بسش!!!
- لا وعلى إيه؟
- يقول الطبيب «لمنع»:
- على فكرة اللي ضربك دا خدمك؟

- إيه؟ بتقول إيه يا جدد أنت؟
- أيوة والله زي ما بقولك.. كدا تبقى خناقة أو مشاجرة مش اعتداء.
- اللي ضربني دا اقراله الفاتحة.
- ليكمل الطبيب:

- قريتها في سري.. أصل البوليس برا و...
 - مش شغلك بقى.. إنت مش خيطة؟
- قالها "منعم" بصوته المعتاد، إن مظهر "منعم" يبدو عليه إنه قائد إنجليزي مثلاً وهيئته أيضاً ناهيك عن لبسه ولكن لا يبدو عليه أبداً أنه بلطجي، خرج "منعم" من الباب وسط ذهول الجميع، وبعدما صمت الجميع عن الحكاية الحقيقية التي يود البوليس سماعها، أو حتى تحريرها في محضر كأقوال أو حتى أسباب مقنعة للمشاجرة، الكل يعلم أن السبب الحقيقي للسكرتير هو الحاج صالح، والخوف من "منعم".
- فيما بعد حين يتدخل صالح بالتعويض سوف يكون أكبر من كلمتين على ورق، وعواقب الحقيقة بعد ذلك ستكون أكبر وأسوأ للجميع، هو لا يخاف ولا يهاب الكل، بل الحقيقة أنهم هم من يخافونه، والجن هنا سيد المستشفى.

يدخل منعم الشارع من جديد... وكأن ما حدث كان بروفة حية لفريد شوقي وفيلم جديد، كل ما كان يهم منعم بالفعل أن يدخل الشارع مجدداً ماراً بالسوق وأن يكون جرحه غير مغطي لا بشاش ولا

بقطن وما يسعى له شيئاً أكثر جنوناً... أن يخطب «سمرًا» هو وأبوه كما قال للجميع.

العجيب من أهل الشارع أنهم -كي يتقوا شره- يقولون له حين يقابلونه، «ألف مبروك يا معلم منعم.. تعيش وتتهني.. سمر بنت مؤدبة وبنت حلال وأنت سيد المعلمين وسيد الرجالة كمان..» لم يشف غليله هذه الجمل الحمقاء! هو متوجه للبيت و متأكد أنه سيجد الحاج «صالح» واقف بمدخل البيت ويعلم أن سمر لن تنام الليل، بعدما رفع رأسها في الشارع كله، بل ووعدا بالزواج أيضًا، ليجد الحاج «صالح» ينظر إلى الأرض بحسرة وكسرة، بل وخجل من ابنه الوحيد.

- خلاص قفلت الشارع وقفلت السوق، وقفلوك الجرح؟

لم يستطع منعم حب والديه سواء وجيدة أو حتى أبوه لأنه يعلم جيدًا ألا أحد يحبه، فتربى فيه ألا يتعلق بأحد ولا يحب أحدًا.. مع أن «وجيدة» الوحيدة التي روحها فيه، وجمالها أيضًا، ولكنه لم يبد لها يومًا ذلك لأنه يعتقد بداخله، أو يعتبر حب الأم بالذات ضعفًا، وأن الرجل الذي يحب أمه ذاك الشاب الأفندي... ولكن ليس «لمنعم» على الإطلاق.. أما «صالح» كان يملؤه خيبة الأمل، وضياع الفلوس المجمعة من تعبهِ وتجارته، سواء عن إصلاح التلفيات أو رد الإتاوات أو حتى الأسف عن الخسائر قبل دفعها بالكامل، كتلة من الهم والغم والشعور بالحسرة والخيبة والذنوب طوال الوقت لأبيه لم يرد «منعم» على الحاج

”صالح“ - عادته ولا هيشترها- من صغر سنه وهو لا يتحدث كثيراً بل يده تسبقه، يفكر بها، يأتي بها باطلاً قبل الحق أهوج، أرعن، وعفي حد الجنون، قوته بمثابة خمس رجال، أما ضربة يده كالسيف.

تباً لهذه التركيبة وعجباً لعقيدها أما بالنسبة لصوته الأجش منذ حتى طفولته حتى أنهم تصوروا أنه بلغ قبل الأوان أو قبل البلوغ.. وقبل أن يقول ”منعم“ أي جملة علي باب البيت الكبير نطق الحاج صالح ليقول:

- قبل ما نقعد مع الرجالة بالليل ونشوف هتمرمط رأس أبوك إزاي، أنا مشيت ”سمرا“ من البيت اللي بتخدم فيه ومن المنطقة كلها برضي الحاج ”حسين“ طلع راجل جدع وبيفهم في الأصول، بعتناها مع راجل من رجالته بعربية مخصوص للنوبة وبقرشين كويسين أوي حينفعوها. لحظتها احمرّ وجه ”منعم“ حتى كادت السجارة التي فوق أذنه أن تشتعل، ورفع يديه ينوي ضرب الباب الحديدي وفي صوت عال قال الحاج ”صالح“:

- إيه حتضرب أبوك يا منعم؟ أهو دا اللي ناقص في ختمتي.
ثم خيم الصمت...

- يعلم ربنا إني عملت معاك كل حاجة.. تعليم ومنفعتش فيه الناظر كان حيبوس إيدي وأنا بقوله مش هنكمل تعليم ”منعم“، مش قادر أنسى إنه باسني وحضني حتي الراجل ما هانش عليه يقولي ليه كدا

حاول معاه مرة ثانية، الفلوس اللي بكسبها بتروح علي حقوق الناس
اللي بعوضها بيها، كأن العطارة حرام وفلوسها حرام وحتى المليمين
اللي بجمعهم بعد مصاريف البيت كل سنة بيطلع عيني فيهم يادوب
بروح بيهم الحجاز أعيط لربنا و أستغفره على ذنوب أنا يا أخي ما
ارتكبتهاش... أدعي ربنا هناك ألف مرة إن ما يوصلش بينا الحال لإنك
تدخل السجن ولا تيجي على ضهرك ولا حتى البوليس يأخذك من بيتك،
مش كل مرة تسلم الجرة، وساعتها حتحرق قلب أمك الغلبانة اللي
بقت تدبل يوم ورا يوم قدامي وقدامك، دا لو كنت شايفها من أساسه
حتموتها ناقصة عمر، دا غير رقبتني اللي بقيت قد السمسمه ورأسي
الى مش عارف أرفعها في الشارع، ولا وسط التجار، دا اللي عنده بنت
يا أخي من أصحابي بيخبي عليا أحسن أتجنن وأقوله أناسبك ولا نأخذ
بنتك للبلطجي الصايح اللي أنا آويه في بيتي، وأنا عمري ما حنطقها.
ثم اختنق صوته..هذه الكلمات كانت آخر ما قاله الحاج ”صالح“
قبل دموعه العفوية.

وكالعادة تجلس وجيدة في الغرفة تبكي ولكنها تفتح باب الغرفة، ما
تبقي لها من قلب الأم لتطمئن على ”منعم“ وهو يوليهمما ظهره بغرفته
يبحث عن زجاجة خمر في أدراجة ليرفعها ويشرب منها أمامهما وهو
لامبالي، وفي صوت من الأسى تنطق ”وجيدة“:
- يا ابني جرحك لسه سخن اشربلك لبن مش الهباب دا.. يا ابني أبوك

بيصلي تقوم تشرب عيني عينك في البيت كدا.
- "منعم" ما بيشربش لبن.. أنتم آويين قط دكر بتسمنوه؟!.. "منعم"
عايز ينسي قلبة دماغه، وجوزك مشى سمرا، منعم عاوز ينسي "سمرا".
تنظر "وحيدة" بمنتهى الأسى للغرز وخصلات شعره الصفراء
المحلوقة بعشوائية إثر الخياطة ويعتليها حزن وحسرة وصمت... يعلو
صوت دعاء في البيت "ربنا لانسألك رد القضاء ولكننا نسألك اللطف
فيه"، بعدما خرج الحاج صالح من الوضوء، استعدّ لصلاة العشاء يخشى
أن ينزل إلى الجامع اليوم، هو لا يريد رؤية أحد ولا حتى يستطيع
التحدث مع أحد.

- السلام عليكم ورحمة الله. ي
- حرماً يا حاج ألا قولي راضيت البت سمرا؟
- طبعا.
- وراضيت الحاج حسين؟
- والله الراجل هو اللي رضاني، دي عشرة عمر يا «وجيدة» يلا... هنعمل
إيه ولا حتي هنقول إيه؟
- طب اسمعني يا حاج.
- "منعم".
- تاني سيرة الزفت دا النهاردة؟
- طوّل بالك بس عاوزين نجوزه يا حاج!

- جرى ايه يا ولية!!! إحنا في إيه ولا إيه؟
- ”منعم“ مش حيتجوز من إسكندرية ولا من أي عيلة، أنت عارف وأنا عارفة دا كويس.
- إيه يا ”وجيدة“ اللي في دماغك؟
- نروح الشرقية يا حاج لا حد يعرفنا هناك ولا إحنا نعرف حد، أروح أشوفله بنت غلبانة على أد إيدنا تلمه وتستره، عاوزة أطمن عليه قبل ما أموت يا حاج.. أنا حاسة إني مش مطولة في الدنيا دي، وبزيادة أوي اللي بيحصل دا.. أهى فرصة نبعد عن الشارع والمنطقة كام شهر وربنا يسويها من عنده.
- وشغلي وأكل عيشي هنا والمحلات مين يدورها.. ماكفهوش إني بايع محل الشهر اللي فات بسبب الحيلة.
- رحمتك عليا يارب... يا حاج كل المطلوب منك إنك تسافر معانا بس وترجع لشغلك بعد كده.
- ومين يقعد مع الرجالة بكره؟ ويسوي اللي حصل ويداوى الوضع؟
- تسترسل ”وجيدة“ بطبتها..
- وأهو بالمرّة تشوف أمي بتسأل عليك يا حاج بعد أبويا ما مات
- مانزلناش الشرقية.. وأهو منعم يشوف عيلته اللي مفكرينه ياما هنا ياما هناك ونجيب مراته تعيش هنا معانا في البيت.
- أهوه عندك أهوه قوليله ولا حتى إقنعيه أي حاجة يا ناس، يا خلق،

ياهوو ترحمني من بلطجته ومشاكله وفضايحه الي ما بتخلص،
دا مخليني عيني وسط رأسي... دا لو راجل من رجالي بيبقي داخل
عليا المحل بيمد أقول أستر يا رب جاييلي خبره ولا جاييلي خبر بوليس
ساحبه.. ودي عيشة؟.. إنتي قاعدة هنا مش حاسة بيا!!! ابني يا ناس
الوحيد الي طلعت بيه من الدنيا الي المفروض يشوف الشغل ويكبره
معايا ولا يشيل حتى عن أبوه.. أنا كبرت يا ”وجيدة“ والهم طالني
وانقسم وسطي، بجري وبلف في ساقية...وهو حتة شيطان في صورة
حلوة.

- يسافر بس وتتدبر يا حاج، ربنا يخليك لينا وميحرمناش منك أبدًا وإحنا
لينا حد غيرك دا أنت سترنا وغطانا الي مضلل علينا، ربنا يهديهولنا.
- ربنا يراضيك أنت يا ”وجيدة“ لولا طيبة قلبك دي وسماحتك الي
مصبراني على العيشة واللي عايشينها وعلى عمايله.
- معلش يا حاج علشان خاطر ربنا، بكره الصبح بإذن الله تقويله،
أوعي تهيني نفسك معاه، يتكلم بأدب وتبلغيني الي حصل.. وافق كان
بها ما وافقش عنه ما سافر وعننا ما شفناه بيتجوز.. دي مين الي أمها
داعية عليها دي يا ربي؟.

- الي تشوفه وتؤمر بيه يا حاج..حروح أطمّن عليه!!
- تطمّني على إيه وعلى مين؟ تلاقيه متسلي مع إزازته واللي زاد وغطى
كمان الرجالة الي اتشرحت دي، مش ولاد ناس دول؟ وجيرانا وحباينا

وصبياننا ومنهم صبيان معلمين أعرفهم ولا أرزقيه، المرادي كبيرة يا
”وجيدة“ وماحدث عرف يلم من وراه ماحدث عرف يحلق عليه في
السوق، وعلى كذا عدت على خير وماحدث مات.. الواد الصبي بتاع
القهوة محجوز لسه في المستشفى.. والحاج ”سعد“ طالب يقعد معايا
بكره، كبرت أنا عالأسف ووبري اتنحل فلوس.

- ادعيه يا حاج.

- إياكش ”ربنا ياخده“

لم ترد ”وجيدة“ على الدعوة ولا الجملة التي قالها الحاج «صالح»
بحرقه، ولكن دموعها كانت تملأ وجهها في نظرة أخيرة من على باب
الغرفة.. ”منعم“ ملقى على الأرض، ينام وبيده اليسرى الزجاجية، لم ينم
”منعم“ على سريره منذ زمن، تطيل النظر فيه وهو ملقى على الأرض،
تسحب غطاءً من سريره المنسق باستمرار.. يفتح عيناً واحدة من عينيه
بإجهاد شديد ليقول بصوته الأجش المعتاد..

- منعم ما بيتغطاش.

في الصباح...

- تروح وترجع من شغلك بألف سلامة يا حاج ربنا يعدي النهاردة على
خير.

- زي ما اتفقت معاك بالطبط، إياك تهيني نفسك معاه.

- حاضر يا حاج ماتقلقش..

- أما ألحق أنزل بقي أحسن أنا فعلاً مش عاوز أشوفه.
- بقايا الألم في جسد هذا "الثور" وصداع رهيب غير معتاد عليه يقوم
من على الأرض بصوته المعهود..
- "وجيدة"
- لم يقل ماما أبداً، قلبه غليظ، لا يحب "وجيدة" ولا يقسو عليها
تركيبة غريبة!!! داخل هذا الكائن..
- عاوز أكل.. أأاكل.. الغدا.
- حاضر حأكلك وحعملك كل اللي إنت عاوزه بس إسمعني.
- كلام مش عاوز!!
- لا كلام على هواك يا منعم.. شوف بقي.. أمك كبرت يا منعم وحزينة
وعاوزه تشوف أمها جدتك يعنى اللي في البلد!
- بلد إيه يا "وجيدة"؟
- الشرقية يا "منعم".
- طب ما تشوفها يا ولية... إوعي يكون الراجل دا حاشك..؟
- لا تعال أنت وديني.
- وهو ميودكيش ليه؟ بس فالحلي يمشي "سمرا".
- يا بني جدتك بتموت وعاوزة تشوفنا ونفسها... تشوفك ولو مرة.
- هاتي الأكل يا وجيدة.. وماله يا "وجيدة" أوديك، والراجل اللي حيروح
معانا ده يحله مني ويحلني منه، مالوش دعوة بيا.

- حاضر يا ابني.

كان الرد السلس "لمنعم" أغرب مما تتصور "وجيدة" هي تعلم أنه لا يرضى بشئ ولا يخضع لشيء، ولكن يبدو أن القدر قال كلمته "على لسان ممنعم" .. ومن جهة أخرى ما حدث بالأمس يستحق تجميد النشاط هذه الفترة فقط والكل يطلب الابتعاد ولو لفترة.

"ممنعم" كائن حر، هو لا يحسب الحسابات لحريته، ولا لغضبه، ولا تصرفاته العنيفة التي قد تكلفه الكثير، وهو يعلم ذلك ولكنه لا يعترف أبدًا، حتي ميوله في أعماقه يريد أن يبحث عن من فعل به ذلك، ولكنه لم ينوي البحث عن سمرا.. هي في حياته فقط سمرا، لكن العنف والعشوائية، والعدوانية الرعونة، والهوجائية تسيطر عليه تستحوذ على تفكيره تحرك ميوله، السبب الذي بداخله يحتفظ به ولا يفصح عنه لأحد.

كان يتمنى أن يصبح ضابطًا كي يحمل سلاحًا ويضرب ويطارد.. حياة تستهويه بل حياة يميل لها كليًا، وصفاته الجسدية، وقوته بل وجراته، و إقدامه وحبه لحياة المجرمين واستكشافها والبحث عنها تجعل في قلبه حوالي عشر رجال ينتظرون إشارة لبدء معركة ما، ولكنه بتفكيره المحدود عين نفسه «ضابطًا بلطجيًا» من الأحرار منذ أن حصل على الإبتدائية.. ظلت «وجيدة» صامته أمام كل هذه الأحداث فترة طويلة لم تخرج من البيت، ولها فترة أطول لم تسافر إلى الشرقية، وبعدها أتى لها

الحاج صالح بعربة مخصصة ليسافروا بها سوياً بعدما رتب ميعاداً مع رجال المنطقة وعلى رأسهم الحاج «سعيد» صاحب القهوة التي يعمل بها الصبي الذي وضع إشارة البدء عن دون قصد بجملة سمجة منه كصبي طائش يتسلي بمشاغلة الخادومات، فلن يستطيع صالح السفر بعدما أعدت «وجيدة» حقائب السفر.

كان «منعم» تحت البيت يحاول جاهداً أن يستفز «حمدي» السائق.
- بقى اسمع.. أنت مش حتسوق.. تترزي جمبي بعد نص ساعة من الطريق من المشوار الأسود دة.

- ليه كدا بس يا معلم «منعم»؟.. أنت عارف الطريق يا معلم؟
- لا.

- أومال أنت هنا ليه يا «طروبش» مش عشان تقول لمعلمك حنمشي إزاي؟

- وبعدين بقي... يا حاج صالح، يا حاج صالح!!!
- أيوااا قولي على التيتا من الأول.. أنت بترازيني وبتقرفني وأنا اللي.....
- يا معلم «منعم» وأنا أستجري؟ أنا والله بس حسأله عاوز مني حاجة قبل ما أطلع على الطريق؟

هذه الكلمات المزيفة من «حمدي» أسكتت «منعم»...
- الحاجة نزلت.. اجري ياد شيل من ستك الشنط ديه في السريع.
مال «منعم» على أذن «وجيدة» بصوته الأجش المسموع...

- جرى إيه يا ”وجيدة“ كل دي شنط؟.. دول كلهم يومين وأفط وأنط أنا ورايا مصالح.

لم ترد عليه وجيدة بالفعل هو لا يعرف ما الذي ينتظره.. وبالفعل بدأوا في التحرك.. في أول نصف ساعة ”منعم“ صامت تمامًا و ”وجيدة“ ولكن ”حمدي“ بالفعل خائف لكي لا يعيد عليه ما عرضه أن يقود السيارة، تقطع ”وجيدة“ السكوت:

- فاكري يا ”منعم“ آخر مرة سافرنا فيها مع بعض؟ أنا وأنت كانت إمتي وحصل فيها إيه؟

لم يرد ”منعم“ عليها قطعًا، ولكن نصف فمه ابتسم.. رد ”حمدي“
- إيه اللي حصل يا حجة وكان من إمتي ياتري؟
رد ”منعم“ و«بحماشة» جدًّا:

- جرى إيه ياد حنقطم ولا أروكك؟
وكانت هذه آخر جملة نطق بها ”حمدي“ حين رأى المطواة تلمع بجانبه يخرجها ”منعم“ من جانبه الأيمن أكثر من مرة ويدخلها:
- أنت حتصاحبنا إياك.

- لا والله يا معلم ”منعم“ بس كنت عايز أعرف، بحب اسمع حكاياتك أوي ومش أنا بس دا كل شباب المنطقة.

انتشي ”منعم“ بالفعل... ولكنه لم يظهر ذلك طبعًا...

- معندكش حاجة تتسمع في ”العارابوية“ ديه يا ااد يا ”حمدي“... ما

تشغلنا "بدرية السيد" طلعت فوق السطوح.

- مين بدرية السيد دي يا معلم؟

نطقت "وجيدة":

- حد ميعرفش "بدرية السيد" يا ابني دي الست "بدارة".. "منعم"

بيحب يسمعها عشان الحاج "صالح" زمان كان هويها وكنت بشغلها له

في الكاسيت على طول بس كان بيحب يسمع من بين شواشي الذرة.

بعدما قالت ذلك بصوت مسموع... تذكر "منعم" صوتها تذكر أنهم

كانوا بالفعل يشغلون الكاسيت على أغاني "بدرية السيد" باستمرار في

البيت.. الست "بدارة" لقب أطلقه عليها عشاقها وجمهورها السكندري.

بعد ساعة على الأكثر أخرج "منعم" من جيبه زجاجة خمر صغيرة

همّ بالشرب منها في صمت، ولم يستطع الاستناد على رأسه ميلاً على

الكرسي الأمامي في السيارة، فإن جرحه ما زال يؤلمه حتى لو كابر منعم

هذا الشعور، وكابر الألم وأخذ يشرب لساعة أخرى في الطريق.

- فات أكثر من نص الطريق.

هذا ما قاله "حمدي" ولم يرد عليه "منعم" حينها، ردت "وجيدة":

- ربنا يسلم يا "حمدي" يا ابني.

فرغت زجاجة "منعم" على حدود الشرقية.. إنها المرة الأولى بالنسبة

له ولم يكن يتصور أبداً أن يسافر في سيارة مع أمه و"حمدي" أحد رجال

الحاج "صالح" الموثوق فيهم الذي حاول "منعم" استفزازه على الأقل

- ولو مرة.. إنها هوايته الغير خفية...
- حمداً لله على السلامة يا حاجة... ويا معلم "منعم" نورت طريق الشرقية.
- خليك في حالك.
- حاضر.
- هو أنا "قلت" معاك في حاجة يا معلم "منعم" دا أنا مبسوط إني سافرت معاك.
- بس أنا لا.. ما تسكت يا.....
- حاضر.
- كل ما يوجهه هذا الكائن من عدوانية غير مبررة كأفكار وفي الردود،
التصرفات، «معجون بمية عفاريت» ملئ بالقنابل اليدوية والألغام
والانفجارات بدون توقيت، وفي استسلام من «وجيدة» لما يقوله "منعم"
ولكن بالنسبة لأول مرة من سنين يسافران سوياً كان ذلك حلمًا بالنسبة
لها.. في داخلها تردد "ألف حمد وشكر لك يارب"
- عارفة الطريق للبيت يا حاجة من هنا.
- عارفة يا "حمدي" يا ابني.. يمين في يمين كدا.. على طول.. إيه دا البيت
الكبير اللي علي البحر؟
- بحر؟!
- هكذا قال "منعم"..

- مش بقولك حمار!

- يا "منعم" هي الناس هنا بتقول عليه بحر.. وماله بس البيت دا فخير دا بيتنا يا "منعم" اللي إتربيت فيه.. جدتك هتفرح بيك أوي لما تشوفك.

- بقولك إيه ياد يا "حمدي".. خمس دقائق تكون منزل الشنط وحاططها لستك جوا.
- حاضر.

يتفقد "منعم" البيت الكبير من الخارج وقد أعجبه بالفعل جدًا... هذا البيت على النيل المفترض أنه عتيق، على مساحة لا بأس بها أبدًا حوله زرع ونباتات وعلى النيل بالطبع تتسلل ابتسامة عريضة "لوجيدة" من سنين لم تبتسمها.. طفولتها وشبابها هنا في هذا البيت الذي لم يتغير على الإطلاق تكاد الدموع تفر من عينيها حيث تذكرت الساحة بعيدًا هنا وهناك تقرأ الفاتحة بداخلها لأبيها الرجل الذي عاش روتينًا هادئًا ورحل في منتهي الهدوء أيضًا.

تطرق الباب "وجيدة" ويأتي من الداخل صوت ليس عاليًا ولا هامسًا.. منخفضًا.. إنها الحاجة "سعاد" والددة "وجيدة" بالطبع هي لم تستطع القيام لتفتح إما من فتحت الباب "وديدة"، و"منعم" يراقب من بعيد ليس كعادته لكنه لأول مرة يشعر باختلاف:
- مين يا "وديدة"؟

- دي الست "وجيدة" يا خالتي.
- والنبي صحيح؟.
- أيوة والنبي هي.
- لتقول "وديدة":
- حمد الله على السلامة أنا مش مصدقة عنيا.
- تضحك ثم تضحك يبدو أنها علي سجيته والأهم من ذلك أنها سمراء جميلة...
- تعالي يا حبيبة أمك وحشتيني أوي... أنتِ اللي وحشتيني أوي يا «أمي» من غير عياط بس الله يرضي عليك...
- تضحك "وديدة" بصوت عال:
- يا "وديدة" أنتِ لسه بتضحكي؟
- أيوة يا ستي فرحانة.
- تنظر "وجيدة" والباب مفتوح على مدى البصر، لماذا يقف "منعم"؟ وماذا ينتظر؟..
- "منعم" يا "منعم".
- أيوة جاي أهوه.
- وبعد حضن دافيء ملئ بالدموع تتشمم فيه "سعاد" رائحة "وجيدة" ابتتها.. امتلاً حضن "وجيدة" بالدفع، بالابتسامة، بالوحشة، بالتعويض، بالاخترال لسنين تتلمسها سعاد بحنان، برفق وهموسة، أيضا يقف على

- باب البيت الكبير "منعم" ولحظتها تتسمر "وديدة" وتحملق وتبدأ بالضحك مجدداً ولا تستطيع السيطرة على عفويتها:
- مين القمر ده يا خالتي؟ من "الإحتلال الإنجليزي"؟
- وتضحك مرة أخرى ما يحدث بالنسبة "لمنعم" خيال أو خبل...
- أنتِ مين يا بت ها مين؟ وتضحكي على إيه؟ حديكي في وشك يا بت وأشوهك.
- يا خراي على جماله.
- ما تطبطي يا بت بقولك أنتِ مين؟
- تضحك مرة أخرى بصوت أعلى وفقدت "وديدة" السيطرة تماماً..
- إن "وديدة" بنت بسيطة جداً ربّتها أم "وجيدة" في البيت الكبير بعدما توفي أبوها جنانيني المحافظة، أما والدتها التي كانت تخدم في البيت وربت "وجيدة" أيضاً مع الحاجة "سعاد"، لكنها سمراء بالفعل وجميلة لا محالة، وبسيطة جداً..
- تعال يا "منعم".
- هذا ما قالته جدته..
- إوعي يا بت من وشي! وسعي يا بت!
- لا مش حوسع.
- نهـار أبوكِ أسود.
- يا خراي يا ناس على جماله!!!

هنا يفكر "منعم" ألف مرة قبل أن يخرج المطوة من جيبه في أول لقاء بينه وبين جدته يسلم عليها أولاً، ثم لا داعي للعجلة "أن يشوه وجه" وديدة...

- مكتوبالك يا "وديدة".

أزاحها بأعجوبة من طريقه أما الطريقة التي تنظر له بها بسجية وعفوية وضحكات متتالية، وسط ذهول من "منعم" لتنطق جدته...
- بسم الله الرحمن الرحيم... الخالق الناطق "حسن" يا "وجيدة".
وتبدأ "سعاد" في البكاء...

- "حسن" مين يا مجانيين؟

يسألهم "منعم" ..

- في إيه يا نسوان؟ دا أنا حضورلكم قتيل هنا.

- "حسن" دا يبقي خالك الوحيد اللي ما شفتوش يا "منعم" .. اتوفى لما كان عنده "١٥ سنة".

- كمااان.

ترد "وديدة" بضحكة غير مناسبة على الإطلاق..

- أيوة والله "سيدي حسن" عاوزة أقول كدا من ساعة ما دخل.

وتضحك.. ترد "سعاد" ..

- "اتيلي" يا "وديدة" هو أنتِ شفتي سيدك "حسن"؟

- شفته في الصور يا خالتي.

وتضحك مجددًا!!!

- مش كنت من الإنجليز يا بت؟.. لا مابدهاش.

يخرج لهم ”منعم“ المطواة مطيحًا بهذا الهراء.. لا تراها بوضوح السيدة الكبيرة أما ”وجيدة“ فتضحك بالفعل لأول مرة من قلبها، كاد الموقف أن يكون خيالاً بالنسبة لها هي الآن لا تخاف من ”منعم“ حقًا...
تهم ”وديدة“ لقلع ما تلبسه في رجلها ومنديل شعرها وبسرعة.. وتقول بضحكة:

- الله أكبر يا حبيبي يا سيدي ”الدسوقي“ قولتلك حلو ومأحلل، تبعت لي أصفر في أحمر دا ”شمعي قايد ما ينطفي“.
يندهش منعم!!! ويتأكد الآن بداخله الشك أن هذه ”الوديدة“
مجنونة رسمي...

- والنبي لا تتجوزني بقى يا سيدي ”حسن“ ده أنا استنيتك كثير.
- أتجوز مين؟ واستنيتى مين؟ يا مجنونة يا مخبولة يا فاجرة.
لا يصدق ”منعم“ ما يراه وما يحدث حوله...
- الله أكبر الله أكبر.

تكبر ”وديدة“ وفجأة تزرغد ”وديدة“.. يسأل منعم وجيدة:
- ديتها إيه البت دي؟.. ”منعم“ مابيشوهش مجانيين!!! ما تقولي حاجة
يا ولية يا كبيرة أنتِ والله لصورلكم قتيل هنا.
لترد وديدة:

- حقك ويحقك يا سيدي "حسن" يا سيدي وتاج رأسي، يالهوي يا جمالك يالهوي علي طعامتك..

كادت أن تسكر أوحتي تدوخ "وديدة" من جمال منعم.. وديدة ليس لها حل، انتظرتة كثيراً بالفعل ومن كثرة دعاها بالزواج، فهذه "الوديدة" البسيطة تدعو كل ليلة... ولكنها تضحك ثم تضحك وغصب عن الجميع يضحك.. والغريب يضحك منعم لأول مرة معذور فما فعلته وديدة كان بالفعل خيلاً، ما وراء العقل إنها السجية في الشرقية. الآن تهم "وجيدة" لأذن ابنها:

- ها إيه رأيك؟ قسمًا بالله يا ابني ما في واحدة حتتحملك غير دي، ولا حتحبك، ولا حتربيك غير دي، ولا حتخلص القديم والجديد منك ومش حتخلف بردو غير من دي، إيه فكرك بقي؟
- ددييه!! دي مجنونة!!

- لا اسم الله على عقلك أنت!!

- خالتي "وجيدة".. سيدي "حسن" بيشتغل إيه؟

تهم "وجيدة" بالإجابة بسرعة قبل أن ينطق منعم

- ماسك محلاتنا في إسكندرية بتاعة أبوه يا "وديدة" وملو هدومه أهو. يشعر "منعم" منها مجدداً بالخبل ويتملك كل أوصاله يبدو أن الخمر الذي شربه في الطريق كان مغشوشاً! ولكنه يرد لأول مرة بضحكة تملأ وجهه وتزيده جمالاً على جماله...

- سيدك حسن بيشتغل "بلطجي عطارة" يا بنت المجانين كلهم.
- يا صلاة النبي يا صلاة النبي.
- ما تظبطي يا بت!!
- تضحك "وديعة" ..
- والنبي سيدى "حسن" دا بطعم "الكحك".
- ينظر "منعم" لوجيدة بابتسامة غير معهودة منه، لأول مرة تغازله بنت، لأول مرة يجرب هذا الشعور يسعد به بالتأكيد، ينتشي به، تشبع صولاته وجولاته، بل وبطولاته في البلطجة، ليقول في نفسه ثم يقول لوجيدة:
- أحلى حاجة إنها سمرا وبنت كلب مجنونة على الآخر بس هجوزها.

البقاء

أعترف بأن غرفتي تتشابه مع المجاذيب في مقتنياتهم فقط.. إننا نجدهم في الشوارع يحتفظون بأشياء بالنسبة لنا لا جدوى منها، وبالنسبة لهم كل حياتهم وتخصصهم، أصبحت هويتهم إذا خانهم التعبير عن أنفسهم حقًا مساكين.

نجدهم يحبونها جدًّا، ولا أحد يستطيع أن يقترب منها أو يجرؤ على أخذها منهم ولا حتى استعارتها، لا على سبيل المزح ولا على سبيل التفحص.. وتسريًّا لسر آخر.. واعترافًا مني بأنني أحتفظ بدولاب في غرفتي عمره حوالي مائة عام من الرحيل، بدون مبالغة مائة عام من الفقد، اعتبرته ميراثًا في شرع الحنين و أوراقًا تخص «علي».. مالت إلى الإصفرار بالطبع، إنها عوامل الزمن وعليّ تقبّل ذلك، وبطاقته القديمة الورقية، يسعدني فيها فصيلة دمه المعطاءة مثله تمامًا، وتاريخ ميلاده وكأنني أذكر نفسي بما لا أنساه، ورسائل من أصدقاء الإبتدائي عام ١٩٨٧ بداخلها صور كثيرة كلها لطيفة، تحمل تفاصيلًا، بداخل التفاصيل كلها تخص الحنين وقُبَل بريئة على الجبين، وتابلوه عتيق كانت ورقة أنيقة ثم تحولت إلى تابلوه مكتوب عليها «يا الله تجاوز فإنك وحدك الحليم الكريم»، غير أن الجملة تعجبني.. أنا وأسترخي تحتها.. تاريخها مبهر ١٩١٩.. ميلاد «حبيبة شعراوى أصغر أخوات «علي».. آخرالعنقود.. سلامًا على روحها.. أهدته إليّ قبل وفاتها بسنة.. و«تيشيرت» من

الإعدادية وبلوفر صوف «هاند ميد» بالطبع من صنع «ماريا»، وكأنه يدفئ قلبك إذا شعرت بالبرد في الليالي الشتوية الطويلة، وقفل أسود صغير على شكل قلب، كل فترة أقوم بفتحه وقفله ثانية بواسطة مفتاحه الأنيق، وأندهش أنه ما زال يعمل حتى الآن بعد كل هذه السنوات، وبالطبع أرقام تليفونات مصيف بيانكى ١٩٩٥ بعناوينها في القاهرة، وكأنني سأزور رفقاء المصيف ثانية نلعب ونلهو ونضحك من قلوبنا، فكنا لانعرف إلا الضحك، نشاهد الشروق سويًا وميلاد الأمل كل يوم، ونتذكر الغروب معا قبل العودة للقاهرة، وكأننى على ميعاد آخر معهم، أما دموعنا وقت فراقنا، كانت تبلل رمال البحر كلها، على الرغم من أن كل منا يعلم أن اللقاء نصيب، ويعلم أننا مجرد مصطافين لن يجمعنا معًا لقاء ثانٍ، يا لها من أيام وليالٍ.. وما أنقأها وما أروعها أحاسيس سواء الإرتباط بالأشخاص أو بالأماكن وبالانطلاق والحب والحرية والبراءة.. محلها العفوية، أم أن كل هذا بداخل نفوسنا الرقيقة كان مجرد الإصرار والبقاء على الوعود ليس أكثر.

حتى أن أبطال تلك الروائع معظمهم أصبحوا ذكرى، حكاية، عناوين، والموجع في الأمر أنى قد علمت بالصدفة البحتة.. قصيرة هي الأيام، أما «المصحف المفسر» النادر، يلازمى أينما ذهبت وبالأخص في السفر، مكتوب في أولى صفحاته «وهبة لا يجوز بيعها» وكلما زال حبر هذه الكلمات أعدت كتابتها ثانية بحبر مختلف فقط في اللون، ولطالما

سألت نفسي هل مالك العربا القديم تركه لي متممداً أم أنه نساها فعلاً بداخلها.. وأجندة أنيقة أهدانيها «ريمون» صديقي الصدوق أصبحت أدون فيها تفاسير بعض الآيات القرآنية ، ومجموعة «قصاقيص» ورق كثيرة وعتيقة، لها ذكريات محبة إلى قلبي باتت تأخذ حيز علبة الجواهرجي، ومجموعة آيات قرآنية مكتوبة وجدتها بالصدفة البحتة في الطرقات، أزلت الغبار من على بعضها واقتنيتها.. إما وقت سؤالي لله أو في حاجتي الدائمة إليه أو في وقت ضيق، وألبوم صور أتحفظ عليه وكأنه حرز من قبل النيابة الخاصة وليست العامة، أحياناً كثيرة أخشى منه، وأحياناً أخشى عليه، أخشى حتى أن أجاوره في بعض الليالي لكي لا أشرد، أغوص بداخل تفاصيله بالأيام، ولكي لا أتذكر حقاً أن كل هذه الأرواح أصبحت مجرد صور أتحسسها بأناملي ببطء شديد، وتتتابنى نوبات الحب والوحشة والحنين، أما ربع الدينار العملة النحاسية العتيقة الخاصة جدا المكتوب عليها «منذ عهد الرسول» جملة كفيلة في حد ذاتها الموقرة بالهيبة أو بالبحث والتقصي.. كل ما أعرفه أنها بالطبع تحمل حكاية أودّ أن أعرفها، لكنني حتى الآن لم أعرفها وسأقصها عليكم إذا عرفتھا.

أما ما يضحكني من قلبي وسط كل هذا بالفعل هو الحذاء الأحمر محلاه متناهي الصغر.. قالت لي جدتي عندما اقتنيتها من الشقة القديمة ولازماني لشقتي الجديدة، أنه أول حذاء ارتديته عندما كنت طفلة

صغيرة أتعلم السير، بالكاد الآن أستطيع أن أدخل فيه إصبعين من
يدى بصعوبة وتتناوبني ضحكات متتالية بداخلي ممتزجة بالبراءة غير
المقصودة، وكلما أدرت وجهي في أركان غرفتي أنفقدها «بسمتية»
معهودة لم أكن أتصور يوماً أن أمكث فيها كل ذلك الوقت..

أرى ضيفي الجديد لم يحصل على لقب «صديقي» حتى الآن.. إنه
حقاً كائن مسالم لأبعد الحدود.. لقد أجهدني هذا العنكبوت الصغير
لكنني أRAF بحالة تلك المسكين عند تنظيف الغرفة، لا أريد حقاً
أن أقتله!.. إن القتل خطيئة لا تغتفر منذ العقود الأولى وحتى آخر
الزمان، لكنه بات يحيرني في أوامره، ولن أستطيع حتى أن ألبى رغباتك،
وطموحاتك المتتالية السريعة كخطواتك أيها الشقي في نسيجك سواء
بتغيير لون الطلاء أو تغيير الستائر.. أما بالنسبة لتغيير الدولاب فهذا
الأمر يبدو مستحيلاً.

بات يصبرني عنكبوتي أحياناً في حديثه معي، على الهجران والخذلان
وأحياناً عن غياب شعاع الأمل، وبات يحثني على الترجي والتمني وميلاد
الوفاء وغياب الأسى، وأحياناً يسرد لي مقتطفات عن أهمية العمل.. أما
أنا فأعده ببقائه، ومن وقتها أصبح يتنعم بالشمس في الصباح حين أفتح
نافذتي على مصرعيها، وبات ينزعج المدلل من نور غرفتي، طالباً مني
النوم والاسترخاء متعشماً هو فقط في «البقاء».

أوصاف جمال متجددة

السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا «ذات النورين» ويا «أم العواجز»
ويا «كريمة الدارين» ويا «درة أهل البيت».. إن «الله» هو حمى
العجائز وإلتجاء المحتاجين، ففى حمى «المجيب حقًا جلاله مهيب
وحضرة أهل البيت الكل هنا يخشع يخضع أو يخنع بل الكل هنا
يتمنى و يطلب من الله».. هنا لا حرمان، ولا ظلم، ولا كتمان، كيف
لمن يحب الله عز وجل أن يحرم أو يظلم ففى دار «رد المظالم»
تجول «مريم» بروحها باكية من خشية الله، محبة ذائبة فى أوصاف
جماله، وأوصاف جمال أهل البيت هنا تجسدوا أمامها كما قرأت عنهم
وتجسدت حبيبتها «السيدة نفيسة» « نفيسة العلم» والعلوم والمعرفة
تذكرت قولها لوالى مصر «ابن طولون» فى هذه الحقبة وكيف أنها ردت
عن ظلمه...

أهنا «حبيبتى» باتت تبكى، تصلى، تقرأ القرآن، تتلو صلوات خاصة،
وتتلو تسابيح وأوراد، لا يعلم عددها ولا يعلم عنها حتى الآن غير الله
سبحانه وتعالى...

أهنا باتت تتعبد؟ وتناجى بارئها فى الأسحار؟ مرة تلو الأخرى.. أهنا
قابلت الشافعى؟..وصلت عليه صلاة الجنازة كما أوصى ...

ما أجمل كل حرف فى سيرة السيدة نفيسة.. هنا «مريم» شعرت
أن الخشوع يتجسد فى صوت ورقة ويترقق بل فقط عليك أن تسجد

وتقترب...

أهنا أوصت أن تدفن وهنا حفرت قبرها بيديها، أهنا دعت أن يتوفاه الله صائمة؟

«فالنفيسة» أول سماتها، بلاغة اللسان وفصاحته، ورجاحة العقل، والشجاعة، والإقدام، هنا العلم والمعرفة.. أهنا يكمن سر الخاشعين، المحبين، المشتاقين؟

هنا يا سادة.. السابقون، المقربون، الطيبون، «أهنا القليل بالكثير».. هنا النفحات، والبركات، والسلام النفسي، والسلامات، فكل من هو هنا «وزار المقام كانه شعر أن حفيده محمد عليه الصلاة والسلام، ترد السلام».

لم تقبل أبداً «السيدة نفيسة» أن يأتي لها أحد محملاً بهوان، أو ضيق أو حتى ظلم، أو يحمل مالا تطيق نفسه به، أو حتى أن تحمل أسئلة بلا إجابات؟.. بل إن هنا رحلة البحث عن الحقيقة الروحانية والخشوع والنفحات والبركات...

ومن أكون «كمريم»؟... لأصف أو أقول عن «كرمة الدارين»، ودرة أهل البيت، وأصف روحها، وهي «الريحانة».. هي حمى وملجأ من لا يستطيع تدبر ثمن تذكرة طائرة لشبه الجزيرة العربية، بل الملجأ لفقراء لا يستطيعون تحمل تكلفة الإتيان بوجبة ساخنة في الشتاء ليسدوا به جوع لا يعلم مدته إلا الله وحده عز وجل.

في «المحروسة» أيضًا تجد في ساحات معينة كساحات أهل البيت، مليئة بالبركة والنفحات بلا اجتهدات، ففي الساحات لا يوجد شروط ولا حتى مسلمّات، ليس أمامك هنا إلا أن تقف في أدب أيضًا أمام الضريح «تسلم على حفيدة سر الكون وسيدة الذي أوحده الله روحه... هنا تتشمم رائحة الزهور والريحان هنا يهلهل القلب، بل يكاد ينخلع من فرحة الزيارة أملًا في اللقاء.. وطمعًا في المجاورة.

تأتي «مريم» وكأنها في موكب اليوم بسيارة صديق لها، تتمني من داخلها أن تسعد بأنسها «النفيسة».

تستحق أن تترك لها كل ما ورائها لتحظى بساعات من النفحات وكما هادت «مريم» محبي «النفيسة» في الساحة بالخارج، هادها رجل لا تعرفه، مدّت له يدها لتعطيته هديته فرفض وأبى! وأخرج لها من جيبه هو هدية لها جلد منمق لونه أزرق مطابق للون طرحتها، فبكت وبكى الرجل الذي لا تعرفه واختفى، وبعدما غاب عن العيون يردد وتسمعه... «يا الله يا أكرم الأكرمين وأرحم الأرحمين وأجود الأجودين وألطف اللطفاء» هكذا قال «الصالح» الذي ظهر لمريم، من أين لا تعلم واختفى كما بدا، ليهمس قلبها مرتعشًا «ربنا إنك وحدك أجمل الأجملين...

ارتدت «مريم» اللون الأزرق بالفطرة بداخلها، كانت تتسائل أي لون كانت تحبه السيدة نفسية؟ أم إنها المخشوشنة، الزاهدة...أتحب

الأخضر مثلاً مثل جدها محمد عليه الصلاة وأفضل السلام...
«ففي سكون الليل».. قبل صلاة الفجر بساعة.. إنه وقت الأسرار
والنجوم اليوم في السماء تتلأأ وفي حضور للشاهدين مهيب والساحة
ليست مزدحمة... هنالك جمال لليوم لم يسبقه جمال ونور لم تشهده
«مريم» قبل ذلك وقرآن الفجر هنا وهناك في كل مكان مشهود...
تبحث «مريم» بعينها داخل المسجد عن سائل عفيف كريم
الكرامة.. فهل من مجيب؟.. كل ذلك يدور بداخلها في آن واحد، فالحمد
لله الذي جعل من الملائكة نوراً ونورانية، هنا لا تعرف كم مرة لابد وأن
نلقى السلام اللائق أو الواجب، بل هنا يلجم اللسان! وتقشعر الأبدان!
وتلجم منك الدعوة.. لكن الدعوة محلها القلب.. وما أدراك ما القلب..
يكاد أن ينخلع من الروحانيات والنفحات والنورانيات، بل من أجمل
وأرق الدعوات المستجابة بإذن الرحمن.

تغوص «مريم» بالجامع الوسطى، تصلى وتتأمل، و تسمع الإبتهالات
وتراقب، فتشعر بقلبيها أن كل من سأل باللسان.. باتت «تطبّط» على
روحه هذه الروح الخفية وعلى قلبه وعلى جسده وعلى أكتافه وكأنها
تمحو الهموم.

هنا رجال ونساء وشيوخ، بل وأطفال.. إنها الجموع والتسابق
للجلوس حول المقام لتحضننا هي بروحها الثمينة النفيسة الغالية،
فتتسائل مريم؟ ما كل هذه الروحانيات؟.. كيف سيكون إحساسها

وشعورها عند زيارة نبي الله محمد وكيف ستكون الروحانيات بالحرم وفي الأراضي المقدسة؟.. كيف لقلبها أن يحتمل كل هذا الحب؟ والحنان والإمتنان والراحة والسعادة والشعور بأنك في وسع القلب وما أوسع قلبك ”النفيس“.

ربنا هب لي قوة الروح كي لا أبكي بصوت مسموع.. هنا جمالاً على جمال.. بل أوصاف الجمال متجددة.. على بعد من ”مريم“ بأكثر من خطوة تشعر شعوراً غريباً مهلباً ولا تعرف تحديده بداخلها، جهاز رادار يحدد إتجاهات الحب الروحي، ولكن هذه المرة هيبة على هيبة.

هنا إمراة عجوز تصل إليها ”مريم“ تسند رأسها على ”متكأ العجائز“ بداخل الجامع لكي تستريح ما بين فواصل القراءة في الذكر الحكيم.

سمراء البشرة، بيضاء القلب بل يكاد لون بياض قلبها أن يتلأأ ويظهر لك في بيت الله، كلما اقتربت منها تشعر بمجال رهيب بل بشعور مهيب.

تقدّمت ”مريم“ للسيدة العجوز وهي تقرأ في كتاب الله في «حضرة خاصة» لها و لله فقط لتسألها «مريم» في أدب وخجل.. قالت بصوت خافت:

- صدق الله العظيم.. نعم يا بنتي!

- مين حضرتك؟

ردت عليها في هدوء وابتسامة..

- أنا يا بنتي أمة الله وأحب الله جدًّا.. وأحب نفيسة العلم والعلوم جدًّا وأقطن بجانبها.

يدعو لها قلب «مريم» الصغير، الذى بات لا يحتمل ما تقوله هذه السيدة من كلمات بسيطة صادقة حقيقية.. هذه السيدة تبدو عادية، لكنها بالحق والحق أقول أنها غير عادية على الإطلاق، لم تحتمل «مريم» هذه الكلمات البسيطة من السيدة أمامها ولا تستطيع أن تحدد السبب.. فبكت!

فردت السمراء..

- ربي وحده يرد الظلم عنك.

ردت «مريم» على استحياء..

- أنا لم أظلم والحمد لله، بل إني أبكي في بيت الله من هيبته و بالأخص فرحتي العارمة أني هنا، بل وخشية من لقاء الله أيضاً، وأبكاني أكثر كلامك، بل ويبكيني سعادة لقائك يا «أمي».

تندهش منها السيدة العجوز! لتسألها مرة ثانية..

- أنتِ يا بنتي سعيدة بلقائي أنا؟

هذه السيدة لم تسأل «مريم» عن أي شئ سواء نقود أو حتى أي أسئلة خاصة مثل كم عمرك؟.. أمتزوجة أم لا؟.. لا ثرثرة هنا ولا لغو ولا فضول.. هكذا «مقعد ومنتكأ العجائز»، عند أم العجائز حقًّا.. لم تجد «مريم» الكلمات المناسبة لفتح حديث آخر، بل وجدت نفسها بشغف

تقول:

- احكي لي عن نفسك يا أمي أكثر؟

- أنا يا بنتي أعيش لما بعد 77 سنة، وإن الزمن لجبار يا بنتي، أنا أحب زوجي جدًا، وهو يكبرني عن عمري بحوالي أربع أو خمس سنوات.. آتي إلى هنا كل يوم، قبل صلاة الفجر، أجلس في الساحة حتى يفتحوا لي الأبواب أسلم على حبيبتني وأجلس لقراءة القرآن.. أحيانًا أستمع هنا إلى إبتهالات، أو حتى تواشيح، وأجلس هناك وأحيانًا أستمع إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

ترد عليها "مريم" في سرها:

- مشهودة بإذن الله ومأجورة يا حبيبتني.

لترد "مريم" بصوت مسموع:

- أنتِ لا تتركين الله فلا يتركك!

لتقول "السمراء" ثانية بصوت خفيض:

- بل هو الذي لا يتركني يا بنتي، لأنني عندما مرضت بتّ أسمع كل يوم ما يدور هنا بالكامل!! طول فترة مرضي.

قالتها بالفطرة لا أكثر ولا أقل.. هنالك وجم وجه «مريم» من الحالة عمومًا لكنها لم تندesh منها ولا من قولها ولا من قربها.. لتستكمل السمراء:

- كيف لك أنتِ في عمرك الصغير يا صغيرة قلبك جميل ورقيق ودموعك

في بيوت الله حاضرة في مهابة جمال.

ترد عليها «مريم»:

- وهل يتخير قلبي عن قلبك؟

هزت رأسها العجوز بإيماء تبدو بها سعيدة لتستكمل «مريم»:

- قولي لي يا أمي كيف أصبح مثلك غنية؟

لترد عليها:

- وهل أبدو غنية يا صغيرتي؟

تعلم «مريم» أنها أبسط من البساطة ...

- نعم يا أمي يبدو عليك وعلى قلبك كل الغنى!!!

تسترسل..

- إن «الله» هنا فقط هو الغني.

- صدقت.

قالها قلب «مريم»..

- ولكنني إن بدوت غنية، فالله وحده رأس مالي..لكنني غنية بالفعل

أحصل على معاش شئون إجتماعية حوالي 370 جنيهًا نأخذهم أنا

وزوجي ونعيش بهم ونرتضي وسعداء.. ألف شكر وألف حمد لك يا

رب العالمين.. ولا أطلب شيئًا من أحد إن الله يحبني وأنا أحبه وكفى.

لتقول «مريم» بداخلها «ربنا يا أنيس المنفردين ويا حبيب العابدين

يا ملاذ التائبين».

لتسال نفسها «مريم» هل هذه السيدة البسيطة نموذجًا حيًا للرضا
للصبر، للعفة بل للمثابرة أيضًا، وأهم ما تراه هنا بل الدرس الأوحده
«الرضا»، لكن النموذج أمامها حقيقي بدرجة مهيبة لا شئ في الدنيا
يساوي أمام ما تقوله بصدق هذه البسيطة.. أهذه مما قال الله عنهم
سبحانه وتعالى ببديع وصفه «تحسبهم أغنياء من التعفف»؟.. نعم
هذه السيدة من أغنياء القوم المتعففين غير أنها تذوب في رحابة..
تعيش تعبد الله، بل تعشقه وتعشق كتابه.. هؤلاء هم من يأتسون
بأهل البيت الكرام، هم من يتزاورون ولا يزايدون عما يفعلون.. هم
«السابقون السابقون.. أولئك المقربون في جنات النعيم»..

هذه السيدة «لمريم» ما هي إلا نفحة تصيب القلب.. حينها قالت
«مريم» للسيدة السمراء:

- أستسمحك يا أمي أن تفتحي كتاب الله على صفحة ٣٠٥.

لتضع لها «مريم» باكية داعية وبسرعة قبل أن تنطق عملة ورقية من
نقود الدنيا.. لتبكي «مريم» وتبكي هنا السمراء.. «مريم» بداخلها تود
أن تضع لها كل النقود بالدنيا.. وكأنها تقول لكل الناس يا ليتكم كنتم
هنا بجوارى ويا ليتكم رأيتم ما أرى وشعرتم بما شعرت ويا ليتنا تصبنا،
نفحات، وبركات، وتأتينا خواطر كما شعرت أنا هنا.. ويا ليتكم كنتم هنا
«لتستوعبوا الرضا» عندما يتجسد أمامكم كما تجسدت أمامي.. لتفاجأ
السيدة السمراء مرة أخرى «مريم»!!!

- ما هذا يا صغيرتي؟.. أنا لم أطلب شيئاً ولا حتى أريد شيئاً.. من فضلك
اقتسمي هذه العملة مع شخص أكثر احتياجاً مني.. من فضلك.
وتربّت على يد «مريم» الصغيرة.. لم ترد عليها «مريم» إلا بكل أدب
فالأدب هنا واجب لها.. إن قلب هذه العجوز لم يكبر بعد من الجمال
ولم يشخ معها أيضاً.. أمن الإيمان يا ترى؟.. لتقول «مريم»:
- أتعرفين يا أمي من منا المحتاج هنا.. أنا المحتاجة هنا، بل المحتاجة
هنا جداً.. أنا السائلة.

تتركها «مريم» فهي لا تستطيع أن تتحمل بكاء أكثر من ذلك، تتذكر
صديقها الذي أتت معه، لا تستطيع أن تنسى ما قاله قبل أن يدخلها
ويتفرقا، بل استحضرتة الآن وكأن الجملة ترن بداخلها...
«مريم» أنا لست سعيداً على الإطلاق! ولا حتى أشعر بأى طعم
ولا بأى لذة لهذخه الدنيا الغريبة، وبالرغم كوني أعمل في لندن ومصر
والكويت ولدي أكثر من شركة ومبالغ باهضة بالبنوك، بل إن سيارتي
هذه مثلاً التي أقودها تصل إلى ما يربو المليون جنيه مثلاً ولكني لست
سعيداً بالمرّة.. ألا تعرفين وصفة للسعادة شافية؟»

ما هذا التفاوت؟ هو مهموم حزين وغير سعيد.. لم تجد صديقها
راضياً.. ولم تجده ناقماً.. لكنها حسمت شعورها مع هذه البسيطة على
الفور بالرضا ونور القلب.. ولا تستطع أن تقول إلا أن الرضا نادر الوجود
حين تجده تراه ذهبياً، ياقوتياً، مرجائياً.. حتى العملة يا رب قالت لها

اقتسميها مع شخص آخر، ألا يوجد لديك ذرة طمع أيتها الجميلة؟ كل ذلك يدور داخل «مريم» هنا بعدما استمعت «مريم» لسورة «مريم» الكريمة بداخل الجامع.

أذن بالفعل الأذان الأول لصلاة الفجر فشعرت «مريم» بالجوع الشديد وفجأة وهي تجلس بمكانها تجد السيدة السمراء بجانبها لتسألها:

- هل أنت جائعة يا صغيرتي؟

تتلجلج «مريم» في الإجابة ولكنها ترد في ذهول:

- نعم.

تضع لها السيدة لقمة من العيش مغموسة بسكر في فمها...

- كليها يا صغيرتي! وسأعطيك لقمتين أخرتين!!!

من أين أتت هذه السيدة بالعيش والسكر؟ وكيف عرفت أنها جائعة؟.. ما الذي يحدث هنا؟ ولماذا أشبعتهَا جدًا الثلاث لقيمات بالسكر؟ ولما يبدو طعمهم مختلفًا وإحساسهم أكثر اختلافًا.. «أطعمتها واختفت».. وبعد الصلاة بحثت عنها «مريم» لتودعها فلم تجدها، فما عسانا أن نقول هنا بعدما صلى الإمام بسورة «مريم» الكريمة.. سلامًا سلامًا على «مريم العذراء أم النور وأم النعم وسيدة نساء الجنة»... وسلامًا على «السيدة نفيسة» أم العجائز.. وما أجملها ليلة.

عندما ركبت «مريم» السيارة مع صديقها في طريقهما للعودة بعد

هذه الرحلة القصيرة التي تمّت بداخلها أن تطول قدر المستطاع.. قالت لصديقها:

- سألتني قبل ما ندخل الجامع عن وصفة للسعادة صح؟.. عندي إجابة ووصية مختلفة في كلمة واحدة «الرضا».. وما تحاولش تغيب عن السيدة نفيسة كثير.. تعال قضي وقت أطول وصلّى في الجامع وتأمل أكثر.

ثم مالت «مريم» على شباك السيارة الفخمة وفتحت شباكها لتستمتع بالهواء ونسمات ما بعد الفجر وتتمتع بحلاوة شروق الشمس وتردد في سرها جملة من أوراد «حبيبته»...

«كم حاربتني شدة بجيشها، فضاقت صدرى من لقائها وانزعج، حتى إذا أيست من زواله.. جئتني الألفاظ تسعى بالفرج»

ترددها بسرّها، وتبتسم ويخيّم الصمت بينهما، وتشرّد في المشاهد التي رأتها هنا وبالدخل... كما يدور بخاطرها سؤال...

كيف لي أن أصف الجمال؟..

«أما هنا.. فأوصاف الجمال متجددة»

الفهرس

رسائل علي.....	5
تلك الفريسكا.....	10
حب الواصل.....	35
أربعون دقيقة.....	59
أطالت النظر في التابلوه.....	67
سهم كيوبيد 2020.....	77
عانقيني.....	91
الدرج.....	96
منعم ووديدة.....	106
البقاء.....	135
أوصاف جمال متجددة.....	139

لو عاوز تحقق حلمك وتنتشر إبداعك وكل الناس
تقراه سواء شعر .. قصة .. رواية .. كتاب
اتواصل معنا وساعدنا نحقق معاك حلمك وحلمنا
إن كل مبدع يوصل للناس إبداعه..

يوريكا
حلّق خارج السرب

01288627690

eureka4publishing@gmail.com